محمد أبو شادي

دراسة أدبية تاريخية

جمع مواد الكتاب

السيد عبد الحميد الكيلاني و عبد الحفيظ الروبي

حقوق الطبع محفوظة

وقد خُصِّص جانبٌ من دخل هذا الكتاب للعناية بآثار المترجم له

---

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

قال أحد الأدباء : إنَّ محمد أباشادى بك عاش قائداً ومات جندياً مجهولاً . وعندنا أنَّ هذا الوصف صادقٌ من بعض نواحيه ، ولكنه غيرُ مستغربٍ لأنه ينطبق على حياته أيضاً وهو نتيجة رغبته واختياره ، فقد عاش هذا الرَّجلُ العظيمُ رافعاً على كتفيه الكثيرين من المتصدِّرين للزعامة ، مؤثراً لخير الوطن التواضع والاستتار ، الاَّ حيثما نادى داعى التضحية والفداء فحينئذ يهرع إلى الأمام غيرَ هياب ولا وَكِلٍ ولا ضنينٍ بأىِّ غالٍ ، وقد اتفق فى هذا جميع من ترجموا له وشهد له به زعيم الأمة الأكبر ورفيق صباه المغفور له سعد زغلول باشا .

ولكنَّ ذلك التعبيرَ غيرُ صحيح من بعضِ نواحيه ، فما مِنْ شك فى أنَّ الشعبَ يحفظ لذكراه كلَّ محبة وإجلال ، وانَّ مثله الذى يندر أن يُجارَى فيما أنتجه من آثار صحفية متنوعة فى خدمة الأمة عمراً طويلا ، وفيمن أنجبهم من تلاميذه بين نوابغ رجال القانون والصحافة والأدب والسياسة ، لا يمكن أن يقال عن صدق تام إنَّه مات جندياً مجهولا ، وإنما الصحيح أنَّ بعض كبار الزعماء يناسب جلالهم الحزنُ الدَّفين ، ويُلائم ذكراهم التقدير الهادىء والتمعنُ فى أعمالهم ودرسُ مواهبهم وآثارهم . ومن هذا الفريق كان محمد أبوشادى بك .

والآن وقد حانتْ الذكرى الثامنة لوفاته ، فقد رأينا براً بالأدب وبالوطن بل بالعبقرية المصرية أن ننشر هذا الكتابَ جامعاً لمختارات شتى صالحة لأن تكون أساسا لدراسته أدبياً وتاريخياً ، ولعلنا بذلك عاونَّا أساتذةَ المدارس وطلبتها الذين يدرسون ترجمته بين ما يدرسون من تراجم لأعلام الكتاب والخطباء

النهضة الحديثة سواء من ناحية الأدب أو من ناحية التربية الوطنية . بيد أنه محالٌ في هذه الصحائف المحدودة أن نأتى إلاَّ بقدر يسير مما كُتِبَ عن سيرته فى الصحف والمجلاَّت أو أن نذكر غيرَ نُتَفٍ مثالية من منثور قلمه البليغ ولسانه الفصيح وشاعريته الناضجة . فمن شاء التوسُّعَ من القراء الأفاضل فعليه أن يطرق (دار الكتب المصرية) بالقاهرة حيث مجاميع « الظاهر » و « الإمام » و « الشعب » و « المؤيد » وغيرها ، وعليه أن يسائل شيوخ أدبائنا وصحفيينا ومحامينا وشعرائنا وكتابنا وأكابر رجال الاجتماع والسياسة فى البلد فيتلقَّى عنهم شَتى النوادر عمن كان يُعدُّ بحقٍ سيدَ كرماء مصر . رحمه اللهُ رحمةً واسعة .

وقد رأينا بعد استئذان أسرة الفقيد أن نخصص جانباً من دخل هذا الكتاب (سواء فى هذه الطبعة وما يتبعها) لصيانة آثاره ومنها مثواه . هذا عهدنا بين يدى الله والقراء ، وإنا له لحافظون ؟

عبد الحميد الكبلانى عبد الحفيظ الروبى

ذو الحجة سنة ١٣٥١ هـ .

obeikandl.com

سيرة المترجم له

(عن الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر لمجلة رعمسيس)

بقلم الصحفي القديم الأستاذ رمزي تادرس

obeikandl.com

أبو شادى بك فى الثانية والعشرين

محمد أبو شادى بك

شيخ المحاماة المصرية وعضو مجلس النواب سابقاً

إن هذا الفقيد يوم تولى هُدّ ركنٌ ما كان بالمهدود
ما درى نعشُه ولا حاملوه ماحوى النعشُ من عفافٍ وجود

لقد صدق من قال : إن يوم الوفاة للرجل العظيم هو يوم ولادته . فالفراغ الذى يحدثه فقده يشعر الناس شعوراً قوياً بمكانته الكبيرة . وما أشد شعورنا بهذه المكانة وما أعظم الخسارة التى أحست بها مصر يوم نكبت بوفاة المغفور له الخالد الذكر الاستاذ العلامة الجليل محمد أبى شادى بك نقيب المحامين وعضو مجلس النواب المصرى سابقاً ، فبكته الأمة المصرية جميعها ، واستوى فى ذلك

obeikandl.com

أنصاره وخصومه السياسيون ، كما أبنته الصحافة العربية على اختلاف مشاربها تأبيناً حاراً .

وإذا قامت اليوم «رعمسيس» بواجب ذكراه فلنا عاملان قويان يحركان قلمنا الشجى : وهما أولا واجب الوفاء من مجلة مصرية صميمة نحو نابغة فذ من كبار نوابغ مصر فى الأدب والصحافة والقانون والسياسة ، وثانيها عرفاننا الشخصى لقدره العظيم مذ كان لنا شرف الاشتراك فى تحرير جريدة « الظاهرة » المشهورة التى كان يصدرها الفقيد الكريم منذ عشرين سنة ، وكنا على اتصال متين به .

ولادته ونشأته ونسبه :

ذكر الأستاذ إلياس زخورة صاحب كتاب « مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر » ميلاد الفقيد فى ليلة الخميس ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٨١ هجرية ، وقد كانت وفاته عند الساعة الرابعة من صباح الاثنين ٧ ذى الحجة سنة ١٣٤٣ هجرية ، فيكون قد توفى عن ٦٢ عاماً هجرياً و٧ شهور .

وهو محمد بك أبو شادى بن أبى شادى الدحدوح بن أبى زيد بن محمد بن محمد بن مصطفى بن محمد بن سعد بن محمد بن شعيب بن إدريس بن محمد بن موسى أخ السيد إبراهيم الدسوقي يتصل نسبه بالحسين بن على . وُلد بناحية قطور من أعمال مديرية الغربية التى اشتهرت فى مستهل الثورة المصرية الأخيرة بضربها المثل الأعلى للنواحى الأخرى فى الجهاد القومى . وكان أهلوها ينادون فى حركتهم بمأثور أقوال الفقيد شعاراً لهم ، حتى قال فيها شاعر القطرين خليل بك مطران من قصيدة محيياً الأستاذ الدكتور زكى أبى شادى أثناء زيارته لقطور بعد عودته من غيابه الطويل بانجلترا :

حىِّ زكىَّ بنَ ابى شادى بحىّ أهله
بحيث نمَّ الفرعُ عن زكائه فى أصله
فى مربع لقومه ومجمع لشمله
فى بلد لبى النداء منذ مستهله
مناصراً أمتـه بليثه وشبله

ولأسرة أبو شادى الدحدوح منزلة كبيرة فى مديرية الغربية بل فى الوجه البحرى عامة وكان والده على الأخص من ذوى النفوذ العظيم والمكانة بين مواطنيه .

ولما بلغ سن الفقيد أربعَ سنوات أدخله والده — وكان عالماً فاضلا وسرياً وجيهاً — مكتب التعليم واستمر فيه حتى قرأ القرآن الشريف ، وخرج منه سنة ١٢٩٠ هجرية . وفى شوال من تلك السنة ألحقه والده بالجامع الأزهر لتلقى العلم فاستمر فيه إلى رجب سنة ١٢٩٨ هجرية ، وقد تلقى العلم عن جملة أساتذة منهم المرحوم الشيخ زين المنصفى الشهير وكان عليه معظم حضوره ، وكذلك الشيخ الاشراقى والشيخ الامبابى الشهير وغيرهم من أفاضل العلماء . ثم انقطع عن الجامع الأزهر بسبب وفاة والده فى أواخر جماد الثانى من السنة المذكورة ، إلا أنه أخذ يواصل العلم بالجامع الأحمدى على المرحومين الشيخ عبد العزيز يحيى والشيخ محمد البهى الحويحى وعلى غيرهما من أفاضل العلماء .

وفى سنة ١٨٨٥ م . نزع إلى الاحتراف بالمحاماة بعد تمرين بمكتب عبد الكريم أفندى فهيم المحامى بطنطا فافتتح لنفسه مكتباً خاصاً بالمدينة المذكورة سنة ١٨٨٦ م . واستمر بها إلى أغسطس سنة ١٨٨٩ م . ثم انتقل إلى مدينة أسيوط وأقام بها إلى مايو سنة ١٨٩١ مشتركاً مع حضرة إبراهيم أفندى اللقانى المحامى . وقضت ضرورة الاشتراك ودواعى الأعمال باقامته فى القاهرة فأقام بها إلى أواخر سنة ١٨٩٢ م . وفى ٩ فبراير من تلك السنة رُزق ولده أحمد (الآن الدكتور أحمد زكى أبو شادى). ثم قضت عليه الدواعى الصحية بالعود إلى أسيوط حيث أقام بها جملة سنين قبل عودته نهائياً إلى القاهرة متخذها مركزاً رئيسياً لأعماله وإن تعددت مكاتبه بعد ذلك فى عواصم القطر .

هذا تاريخ نشأته بايجاز . ولكى يكون كاملا يجب أن لا ننسى ذكر ما لصاحب الترجمة من اشتراك محمود فى دائرة نفوذه ونفوذ أسرته الكريمة فى الحركة القومية الأولى التى عُرفت بالثورة العرابية . فقد كان وهو شاب متعلم يتدفق غيرة ويتأجج وطنية ، وكان على حداثة سنه خطيباً مفوهاً ضليعاً ، تصغى له الجماهير أيما اصغاء ، ويعرف كيف يستهوى ألبابها مهما تباينت طبقاتها . فكان يجول القطر صحبة كبار القادة حاثاً على التعاون القومى والاستماتة فى سبيل تحرير مصر . ومن غرائب الاتفاق أن يبدأ حياته العملية خطيباً سياسياً مسموعاً منادياً باستقلال بلاده ، ويختمها على النحو ذاته كما شهد بذلك رجال (الوفد المصرى) الذين قدروا لمجهودات أبى شادى بك الشخصية الأثر الكبير فى نتائج الانتخابات الأولى لمجلس

النواب المصرى سنة ١٩٢٣ ، فكان جميع أعضاء المجلس يحبونه ويجلونه .

وأما تاريخ سيرته بعد ماتقدم بيانه فاشهر من أن يدون ولن يسعها عدد كامل من مجلتنا : فقد كان هذا الرجل الكبير الذى لم يعتمد على مال ونفوذ أسرته ، بل فقط على نفسه وذكائه الحاد وهمته العالية وإقدامه المشهور فى بناء شهرته — كان هذا العصامى الكبير من النوابغ الافذاذ الذين قدر لهم أن يتركوا أثراً خالداً جليلا فى أعمال شتى . وما من عمل قومى كبير نشأ بمصر فى جيلنا إلا وكانت له همة ويد فيه ، ناهيك بأثره الخطير المباشر كمحام وصحفى وسياسى وكاتب شاعر ، وخطيب ومتصوف فقيه ، وماسونى كبير .

أبو شادى بك المحامى :

قالت رصيفتنا (الاهرام) : « كان الفقيد الكريم ركناً من أركان المحاماة وإليه انتهت رئاسة نقابتها . . . . وقد طارت شهرة الفقيد الكريم بحق فى عالم المحاماة ويروى عنه تلاميذه وهم من خيرة المحامين اليوم نوادر تدل بجماتها وتفصيلها على نبوغ فائق . وبلغ من شيوع شهرته بما ربح من أمهات القضايا وبخاصة منها الجنائية أن كان الرجل إذا غضب على الرجل فى قاصية الصعيد تهدده بقوله : أقتلك وأروح نولد أبى شادى . . . ! »

ولم يكن مكتبه كعبة القصاد من المتقاضين وحدهم ، بل كان أيضاً مدرسة تؤم للاستشارة القانونية وللتمرين . فتخرج منه عدد وافر من أقطاب المحاماة فى مصر ومنهم من بلغوا مرتبة الوزارة فلم ينسهم اختلافهم الحزبى والسياسى واجب التكريم لأستاذهم فمشوا فى جنازته مطرق الرؤوس يبكونه كأبنائه بكاء حاراً ويترحمون عليه .

ذكر الاستاذ محمد افندى لطفى جمعة المحامى المعروف فى مقال له بجريدة « الاهرام » عنوانه (كلمة حق عن فقيد عظيم) ما يأتى : « . . . . وكل القطر يعرفه محامياً فصيحاً وخطيباً مقتدراً . قد تخرج فى الأزهر الشريف واشتغل بالمحاماة والصحافة والسياسة والأدب وكان شاعراً بليغاً يقول الشعر ارتجالا فى أعظم الاحيان . وقد ذاعت شهرته أولا فى الوجه القبلى وانفرد بالنبوغ فى الدفاع فى القضايا الجنائية . وانتقل إلى القاهرة فى أوائل هذا القرن فسبقته شهرته وزادها فى زمن قليل بما أوتى من ذكاء فطرى وقدرة على العمل . . . . وكان على الرغم من عدم علمه

باللغات الأجنبية لا يقل ادراكا وذوقاً عن متقنيها . وكثيراً ما صاغ فى مرافعاته مبادىء قانونية ثابتة فى كتب القانون الأجنبية ، لم يطلع عليها ولكن هداه إليها ذكاؤه المفرط وطول اختباره وتجاريبه . »

وكان صبوراً على درس القضايا حاضر الذهن فوّار الذكاء . فإذا تحمل عبئاً قانونياً مهما عظم لم يحجم عن أداء مايطلب إليه . ولما اختارته نقابة المحامين بمصر وكيلا ثم رئيساً للنقابة بذل من المجهودات مابذل فى رفعة شأن النقابة والمحامين عامة مما سيبقى أثره حياً .

وانه ليؤسفنا جداً أن نذكر ضياع مؤلفاته القانونية الثمينة التى لم تطبع مع مذكراته الشخصية التى حررها نجله فى سنة ١٩١١ بحكم اضطراب الظروف ، ولو كان أبو شادى بك ممن يعنى بالظهور الكتابى والفائدة المادية لطبع الكثير من آرائه القانونية التى دائما كانت محلا للتهافت والاقبال ولربح منها أرباحاً جزيلة . ولكنه كان كثير الشواغل يعمل طول نهاره وبعض ليله وينتقل فى جميع أنحاء القطر ، وكان قليل الاهتمام برعاية صحته يكلف جسمه وعقله أعباء جسيمة فلم يكن يستطيع الجلوس إلى مكتبه للتحرير والتأليف فى أواخر أيامه الناضجة .

على أنه قد ترك آثاراً أجل من التصانيف وهم تلاميذه العديدون الذين يعتبرون بحق فخر المحاماة المصرية فى الوقت الحاضر . قال الأستاذ لطفى جمعة أيضاً : « . . . وكان سلوكه مع القضاة مزيجاً من الاحترام وحفظ الكرامة . أما أخلاقه مع زملائه وأبناء مهنته فكانت دائماً على وتيرة واحدة وهى الاخلاص والصداقة ودوام المودة . ولم يقصر يوماً فى الانتصاف لمظلوم والأخذ بناصر الضعيف والفقير . ومن غرائب الصدف ان وفاته جاءت فى ختام السنة القضائية . فكأن نفسه المشربة بحب الواجب وحب صنعته أبت أن تفارق العالم الفانى إلا فى الوقت الذى يؤذن فيه للمحامين بالراحة . »

أبو شادى بك الصحفى :

أصدر الفقيد الجليل فى سنة ١٩٠٥ صحيفة « الامام » الأدبية الشهيرة أسبوعياً ثم صحيفة « الظاهر » يومياً فخدم بهما الأدب والوطنية والصحافة خدمة عظيمة سنين عدة وفتح بهما فتحاً مبيناً فى أسلوبهما ونظام تحريرهما وخطتهما . واستعان بصفوة رجال الأدب فى مصر وسوريا على الأخص . وكثيراً

ما تحات صفحاتهما بمنثور ومنظوم أقدر الأقلام العربية . ولولا أن خانته صحته فيما بعد ـ وكانت البلاد وقتها على غير يقظتها الحاضرة ـ لكانت تألفت شركة مالية قوية لمتابعة عمله الجليل بعد ان اضطر صحياً للتخلى عنه . وقد كان عمله هذا جراة كبيرة منه نظراً لقلة عدد القراء فى ذلك الوقت ولضعف الصحافة المصرية ، ولكنه نال بغيته من خدمة الحركة الوطنية ونصرة صديقه المرحوم مصطفى كامل باشا .

على أن أثر الفقيد الصحفى لم يقتصر على رئاسة تحرير جريدتيه الشهيرتين ، فانه قبل وبعد إصدارهما طالما ازدانت من بيانه شهيرات الصحف العربية فى مصر على الأخص . وتولى رئاسة تحرير « المؤيد » فترة من الزمن نظراً لشهرة الفقيد فى العالم الاسلامى ، ثم اضطر الى التخلى عن العمل بحكم صحته مرة أخرى ، ولكنه ما كان يهدأ له بال كلما استعاد عافيته ، فكان دائباً كدوداً كثير النشاط ، وعاش الى آخر أيامه من أحب الكتاب السياسيين وأبلغهم لدى الجمهور المصرى .

ومما يروى عنه انه عُنى بالكتابة منذ الثانية عشرة من عمره حيث كان نبوغه مبكراً ، وكان رجلا فى سن الطفولة ، فكأنه خدم فن الأدب نصف قرن كامل. وان الزائر لدار الكتب الملكية بالقاهرة ليحار فى اختيار ما يحسن اختياره من روائع كلمه وشائق مقالاته فى أبواب شتى ومسائل اجتماعية وسياسية خطيرة مدة هذا العهد الطويل فى متنوع الصحف .

ولقد كانت للفقيد جرأة عظيمة فى نصرة ما يعتقده حقاً ، فكانت مقالاته تفعل بالألباب فعل الراح بالنفوس . وكم من مواقف صحفية وسياسية يرويها تاريخ المجتمع المصرى ونهضته الحديثة له بالاعجاب والفخر . ومما يدل على قوة بيانه وسرعة خاطره انه ما كان يكتب بقلمه إلا نادراً ، بل كانت عادته الاملاء بدون تردد مهما كان حوله من الشواغل ، فتجىء أبدع مقالاته أو قصائده بنت ساعتها . فللصحافة أن تبكيه مثل المحاماة بل قبلها ، ولقد برت بفضله ومآثره كما دلت على ذلك تعازيها الصادقة على اختلاف مناحيها ومشاربها .

أبو شادى بك السياسى :

لقد وُلد هذا الرجل العظيم سياسياً كما ولد خطيباً وأديباً ، ولقد صدقت كل

الصدق زميلتنا جريدة (البلاغ) بقولها : « . . . . ليس فى الشعب من يجهل الرجل الشعبي محمد بك أبو شادي ولا يعرف أن حياته الطويلة سلسلة متصلة . جميع حلقاتها مفاخر وشهادات ناطقة على حبه للشعب وحرصه على هنائه وسعادته وسعيه الحثيث لتحقيق استقلاله . عُرف عنه ذلك وهو شاب يجرى فى عروقه الدم الحار . وعُرف عنه ذلك وهو رجل تلعب بألباب الرجال أمثاله المطامع وتستهويها الأغراض . وعُرف عنه ذلك وهو شيخ متهدم يزحف إلى القبر زحفاً . فما كان فى دور من هذه الأدوار الا مثلا أعلى ، والا صورة من أكرم الصور فى سلامة العقيدة وقوة الايمان » .

وقالت زميلتنا جريدة (النظام) : « . . . . وكان رحمة الله عليه غيوراً على الحرية متفانياً فى حبها يريدها لنفسه ولكل الناس . فلم يكن أشد عليه وقعاً من سماعه بخبر مظلوم ألقى فى غيابة السجن فينبرى لفك عقاله ، ويتقدم للدفاع عنه . ولم يكن أوجع لقلبه من صاحب حق اغتيل حقه فينتصف له ويسترد حقه إليه . وهكذا كان الاستاذ محترماً من زملائه المحامين ، ومن الهيئات القضائية التى كانت تقدر فضله وتعرف قيمة دفاعه وترفعه عن الاسفاف والمداورة . فكان صريحاً فى عبارته موجزاً فى بلاغته . وهذا الذى أكسبه الشهرة فى المحاماة وجعل له تلك المكانة العليا . وكان رحمه الله بين الثلاثة الذين تطوعوا للدفاع فى حادثة دنشواى المعروفة ولم تجد بلاغتهم فى دفع الظلم وانقاذ المظلوم . وكان شاعراً رقيقاً وكاتباً مجيداً ، لانزال نذكر رسائله الشائقه فى جريدة (البلاغ) الفرنسية العربية التى كان يصدرها الوطنى الكبير المرحوم اسماعيل بك شيمى . وكان الاستاذ يكتبها تحت عنوان (من السبت إلى السبت) فيتلقفها الشعب بشوق ويطالعها بشغف . وكانت وحدها لساناً ناطقاً بما أوتى الفقيد من الشجاعة الأدبية . وكانت حرارة الوطنية تهب من سطورها حسرات على الوطن المهضوم حقه ، المظلوم فى عصر العدالة والحرية . ولما قامت الحركة الوطنية كان الفقيد فى طليعة دعاتها المؤيدين لها وأصبح مكتبه مصدراً من مصادر نموها وحياتها وموضعاً لاجتماع الكثيرين من كبار رجالها وأعوانها . فاعتقل مراراً فى رفح وغيرها وأثر الاعتقال فى صحته تأثيراً سيئاً كانت نتيجته تلك النكبة التى أودت بحياته الغالية وأصابت البلاد فيه . ولكنه رحمه الله كان صبوراً جلداً ثابت الجنان قوى العزيمة ، فلم يبال بما يناله

فى سبيل خدمة بلاده ـ ولما خرج من الاعتقال كان يغشى الحفلات الوطنية ويقف فيها خطيباً كعادته يتلقاه السامعون بالهتاف العالى ، ويسألونه أن يطيل كلما أراد أن يزايل المنبر . وقد رأس رحمه الله (جمعية الدفاع عن الحرية السياسية) ولهذه الجمعية صوت مرتفع لايزال يتردد إلى اليوم » .

نعم صدقت الزميلتان . ويصدق من يقول عامة إن الاستاذ الفقيد كان مرتبطاً بالحركة الاستقلالية منذ نشأتها فى سنة ١٨٨٢ م . إلى وفاته سنة ١٩٢٥ م . وكان دائما فى صف الجمهور رغم نشأته من بيت يسر وشرف ووجاهة ، مما قد يربى فى غيره روح الاثرة وشهوة السلطة والنزعة الأوتوقراطية ، ولكن هو شرف المحتد يتغلب على كل مظهر آخر . كانت للفقيد العظيم يد مأثورة فى جميع أدوار الحركة القومية ، وكانت مواهبه تزجيه إلى الأمام وتقوده إلى طريق العمل الشاق والتضحية فمن أراد أن يعرف أثر أبوشادى بك السياسى فى خدمة وطنه فليذكر حركتنا الاستقلالية خطوة خطوة من عهد الثورة العرابية إلى الآن .

وكم من سعى حميد وحركة طيبة وفكرة نيرة كان مصدرها قريحته الوقادة ونفسه العالية وغيرته الوطنية العظيمة ، حيث كان يؤمه حفية وجهراً فى كثير من الظروف كبار الحكام للاسترشاد برأيه أو طلباً لنفوذه السياسى . فما استطاع أحد أن يخرجه من صفوف الشعب رغم ما كان يعرضه عليه رجال السلطة فى أوقات مختلفة من وسائل الترغيب والترهيب .

ولما تمت الانتخابات الاولى لمجلس نوابنا كان الفقيد فى طليعة المرشحين لرئاسة المجلس الذى تعب كثيراً فى المساعدة على انتخاب أعضائه وتكوينه . وكان المرجح جداً فوزه بالرئاسة لولا أن داهمه المرض فحرم البرلمان أى حرمان ، وحينئذ وقع اختيار الاعضاء على معالى مظلوم باشا للرئاسة .

ومهما قيل فى مجهودات أبى شادى بك العظيمة فى جميع أدوار الحركة الوطنية فيكفينا أن نذكر دليلا على بعد نظره السياسى وغيرته القومية أنه الرجل الوحيد الذى بح صوته منذ عشرين سنة بل أكثر بالمطالبة بتعمير السودان اقتصادياً وزراعياً بواسطة شركة مصرية صميمة ذات رأس مال وافر ، فذهب صوته أدراج الرياح وأتى جيل بعد ذلك يعض أصابع الندم على تفريط آبائه .

أبو شادى بك الخطيب الاديب :

كان الفقيد على حداثة سنه خطيباً بارعاً فى عهد الثورة العرابية وكان مظهره واعتدال قوامه وامتلاء جسمه مما يخدع الناس فى حقيقة سنه . أضف إلى ذلك ذلاقة لسانه وحماسته المتأججة ويقينه وإيمانه : فكان محبوباً لدى الشعب منذ سمع الشعبُ صوته . ولم تقتصر خطبه على السياسة والدعوة والاصلاح الوطنى بل كثيراً ما كانت تتناول المسائل الاجتماعية والأدبية . ومن أوائل خطبه التى من هذا القبيل خطبة بليغةٌ مأثورة ألقاها سنة ١٨٨٧ م . بمسرح الشيخ أبى خليل القبانى وكان موضوع خطبته « منزلة التمثيل » فكان سابقاً لزمنه فى الاشادة بهذا الفن الجليل .

وكان يخطب بداهة فيسترعى الأسماع بسحر بيانه ، مازجاً الحكمة بالفكاهة الحلوة ، فينصت إليه المستمعون الساعات دون ملال ، فكان منشئ وواضع أسلوب خطابى بديع لم يبلغ شأوه فيه أحدحتى عُدَّ أخطب خطيب فى مصر على هذا النحو ، وكثيراً ما كان الزعيم الجليل سعد زغلول باشا إذا طرق باب الخطابة الفكاهية يقول مداعبة : « هذا على مذهب أستاذنا أبو شادى بك » فأجابه مرة الفقيد مداعباً : « أستغفر الله ياباشا ! أنا بالنسبة لمعاليك من الشباب الناهض ! »

ويقيناً لم تفته قدرته الخطابية حتى فى شدة مرضه فقد ذكر الاستاذ محرر « الاهرام » فى معرض رثائه : « كافأت الأمة نبله وفضله وإخلاصه بانتخابه عضواً فى مجلسى النواب الماضيين ، وإذا كان المرض الذى نهكه فى تلك الفترة لم يمكنه من العمل مع زملائه فقد كان مشاركاً لهم بقلبه ، ولقدشهدناه حين أبلّ قليلاً يحضر بعض الجلسات وهو مستند إلى طبيبه وأحد أصدقائه ،وسمعناه وهو يخطب آنئذ فكان كالعهد به وهو فى أتمّ صحته من حيث حضور بديهته وذلاقة لسانه ولطف أسلوبه الخطابى ، فرأينا كيف يفى القلب من حيث تخون الصحة وكيف يتغلب العزم والاقدام على الضعف والسقام » .

وكان شاعراً ذا روعة خلابة فى شعره يرتجله لمناسبات كثيرة ويرسله فى مقاصد جليلة أو فى منازع أدبية شائقة . وكم من شعر غنائى أو أدوار مهذبة رقيقة تغنى بها كبار المغنين نشأت فى حفلات أنسه ارتجالا منه فتلقفها المغنون وسارت من أدنى

القطر الى أقصاه . نذكر منها على سبيل المثل قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها (وهى من شعر صباه) :

عليلٌ دمعه دمٌ ـه فما لك لاتكلمُ ـه
سرى فيه الضنى حتى بدت للناس أعظمُ ـه
فلا إن ناح تعذره ولا إن باح ترحمُ ـه

ومع انه من أشد الحريصين على وحدة التاج والشعب مهما اشتدت الظروف (حتى انه لم يختلف مع صديقه المغفور له مصطفى كامل باشا على شىء فى خطة الجهاد الا على عدم مراعاة هذا المبدأ المقدس) فانه ماكان يصبر على الضيم ومظاهر البيروقراطية . وله قصيدة تهكمية شديدة فى نقد الاعيب السراى فى ذلك الوقت وهى المشهورة بمطلعها :

يامصرُ أبهة الاعياد تكفيكِ قصرٌ نخيمٌ وأعيانٌ توافيكِ !

ولما مات صديقه مصطفى كامل باشا رثاه بقصيدة من أوجز وأبلغ ما قيل فى رثائه .

وكم كان منزل الفقيد منتدى للشعراء والادباء وأهل العلم ورجال السياسة على اختلاف طبقاتهم ، فكان مجمعاً أدبياً شائقاً عزيز المثال .

أخلاقه وصفاته :

من أظهر صفات الفقيد التى تحدث ولايزال يتحدث بها أصدقاؤه وخصومه السياسيون على السواء كرم أخلاقه وطهارة قلبه الذى لم يكن الحقد يعرف سبيلا اليه مع انه كان عظيم الشجاعة الادبية شديد الحرص على مبادئه لايدع الصداقة الشخصية تؤثر عليها مطلقاً ، حتى كان مضرب الامثال فى ذلك . وحسبنا أن نروى بعض ماذكرته صحيفة (السياسة) عنه حيث قالت : « توفى أمس الاستاذ الكبير المعروف أبوشادى بك . فراحت مع آخر نفس لفظه شخصية برزت بين الشخصيات المصرية فى نصف القرن الاخير . ومن من مصريى هذا النصف يجهل أباشادى بك؟ ومن منهم لم يسمع عنه إن لم يكن قد رآه رؤية ؟ كان أبوشادى محامياً فكان نقيباً ، وكان محدثاً فكان ظريفاً ، وكان راوية فكان خفيفاً ، وكانت صفاته هذه كلها تتجلى فيه وهو يعمل سياسياً كاتباً أو خطيباً . وكان أبوشادى بك يخالفنا فى الرأى السياسى بل فى الأساليب السياسية . لكن هذه المخالفة لم تكن لتحول يوماً دون عرفاننا له تلك الميزات التى كانت تبرز بها شخصيته وهو فرد ، وهو محام ، وهو سياسى .

وكان رحمه الله قد اعتراه فى أيامه الأخيرة مرض ألزمه الفراش طويلا فحرم أصدقاءه واخوانه وعارفيه كثيراً من تلك الخصال التى امتاز بها ، وكثيراً من تلك اللطائف التى كانت تبدر منه » .

وقالت (كوكب الشرق) فى رثائه المؤثر : «ولقد امتاز بأخلاق رقيقة ، وعُرف بين أبناء الوطن كلهم بالوداعة وجمال الروح . وكان شعلة من الاخلاص ومثلا من أمثلة الوطنية الحية التى تصارع الظروف والحوادث الجسام ولا تنى دون أن تقهرها وتتغلب عليها ، وما نستطيع أن نوفى أباشادى حقه اذا أردنا أن ننوه بأعماله فى الحركة الوطنية والمجهودات التى بذلها رغم ما كان يصيبه من الحوادث وينتابه من الآلام وهو صابر مطمئن الجنان ثابت اليقين تتهاوى الناس حواليه عند صخرة اليأس ولا يزيده ذلك الا ثباتاً ومضياً فى سبيل الجهاد القومى » .

ومن كانت هذه شمائله فلن يوجد له عدو ، ولن يعدم احترام ومحبة خصمه السياسى ، وكم وفت مروءته لخصومه وأصدقائه على السواء ، وما خاب مستنجد به فى رجاء أو مودة أو كرم . فنظم فى حلو شمائله وجليل أخلاقه الشعراء ما نظموا ، ولكن ما كان مثله من يحفل بحفظ الثناء واذاعته ، وإن ذاع بالرغم منه قول أمير الشعراء شوقى بك متحدثاً بكرمه :

قد مسَّنا الضرُّ فانظر فى حوائجنا ... لا مسَّكَ الضرُّ يوماً يا أبا شادى

وكانت مجالسه الشهية مدرسة للتاريخ الحديث وللتاريخ الشخصى لعظماء رجال مصر فى نصف قرن كامل إذ ساعدته ذاكرته القوية التى ما خانته أبداً حتى نهاية عمره فى حفظ وسرد الكثير من وقائع وتواريخ ومذكرات طلية ذات قيمة وفائدة ولذة . فكان من أيسر الامور عنده التحدث فى أى موضوع تاريخى سياسى اجتماعى يخص مصر أو الشرق الأدنى ، فان ذهنه كان دائرة معارف لتاريخ عصره .

وقد ساح الفقيد فى جميع أنحاء مصر تقريباً كما زار اليونان وتركيا والشام والحجاز ، وكانت له خبرة واسعة بطبقات كثيرة من الانسانية ساعدت على نضوجه ، وأضافت ذخيرة من الاختبار الى فطنته وعبقريته النادرة .

وكانت للفقيد شهرة بالجود والبر بالفقراء ، فما كان ممن يعتبر المال غاية بل وسيلة ، ولم تبدل الأيام من طبعه هذا فكان يجرى النضار من بين يديه دون حساب .

وكان من أبرّ الآباء بأولادهم فرزق أبرّ الخلف ، ومات قرير البال يحفّ به أحبّ الناس اليه .

وان من عجائب الأقدار أن الفقيد — خلاف ما أذاعت بعض الصحف — قد أبل تماماً من مرضه . وكان قبل وفاته بصحة جيدة ونشاط يُحسد عليه . وكان فى نزهته «بشارع الاهرام» يمشى رغم تقدم سنه مسافة أربعين شجرة . وكان يعدّ معداته لعمله ، ولكنه فوجىء بمرض آخر لم يمهله غير يومين فقط بعد أن كان كله صحة وحركة وقوة ، وهكذا الآجال متى انتهت تهيأت للمنية أوهى الاسباب . فذهب هذا الفقيدالعزيز ، والوطنى العصامى الكبير ، مبكياً على نبله وفضله وآثاره الخالدة . ومشى فى جنازته عظماء الامة ومفكروها وممثلو هيئاتها وطبقاتها يتقدمهم صاحب الدولة الجليل سعد زغلول باشا ورجال (الوفد المصرى) والوزراء السابقون والجم الغفير من الاعيان والوجهاء . نسأل الله أن يجعل تضحياته الغالية ذخراً للأجيال المقبلة .

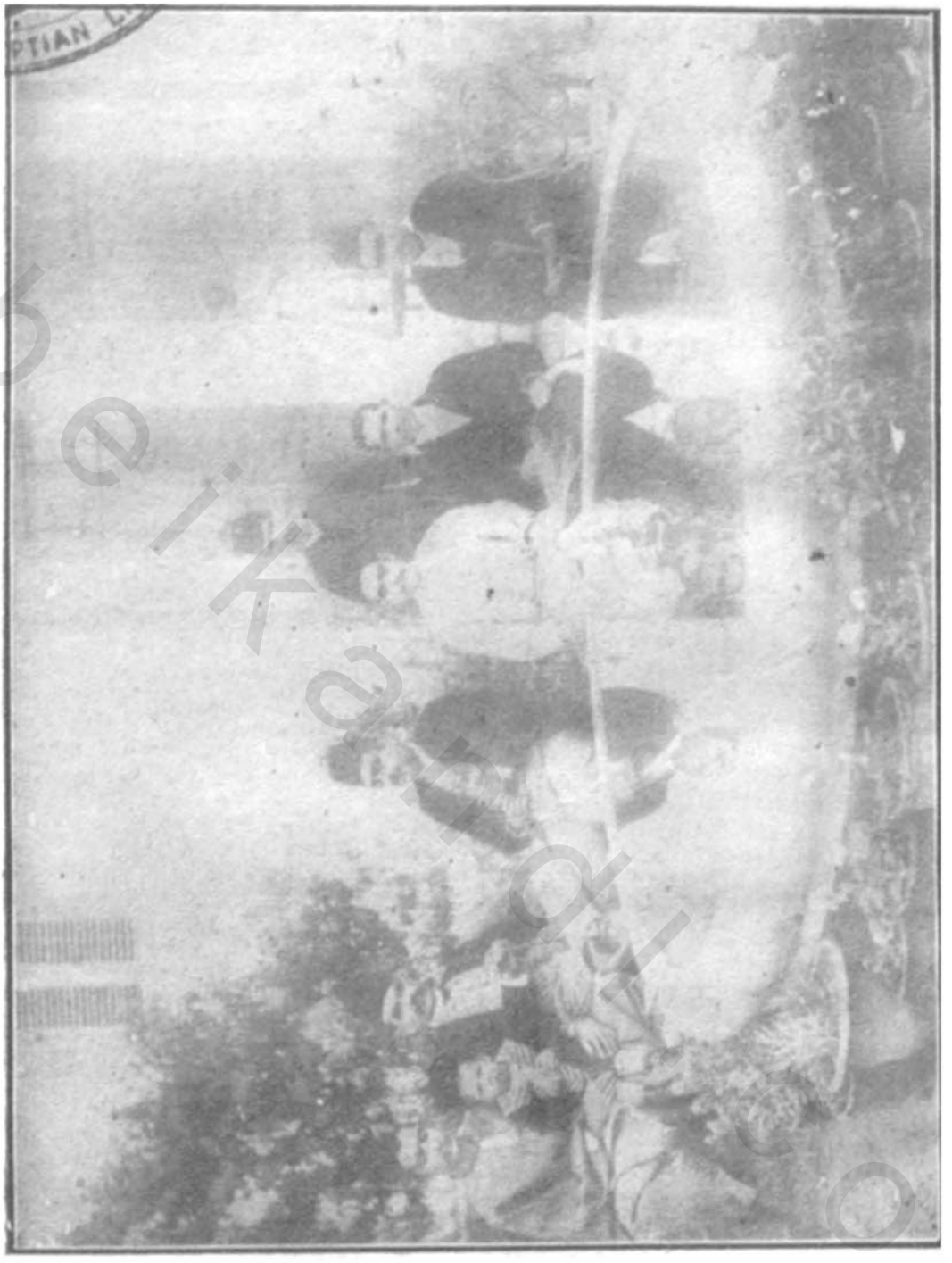

صورة تاريخية فريدة

محمد أبو شادى بك وعلى حجره نجله الطفل (الآن الدكتور أحمد زكى أبوشادى)
ومعه طائفة من الاعيان بمدينة أسيوط فى حديقة منزله سنة ١٨٩٤ م .

obeikandl.com

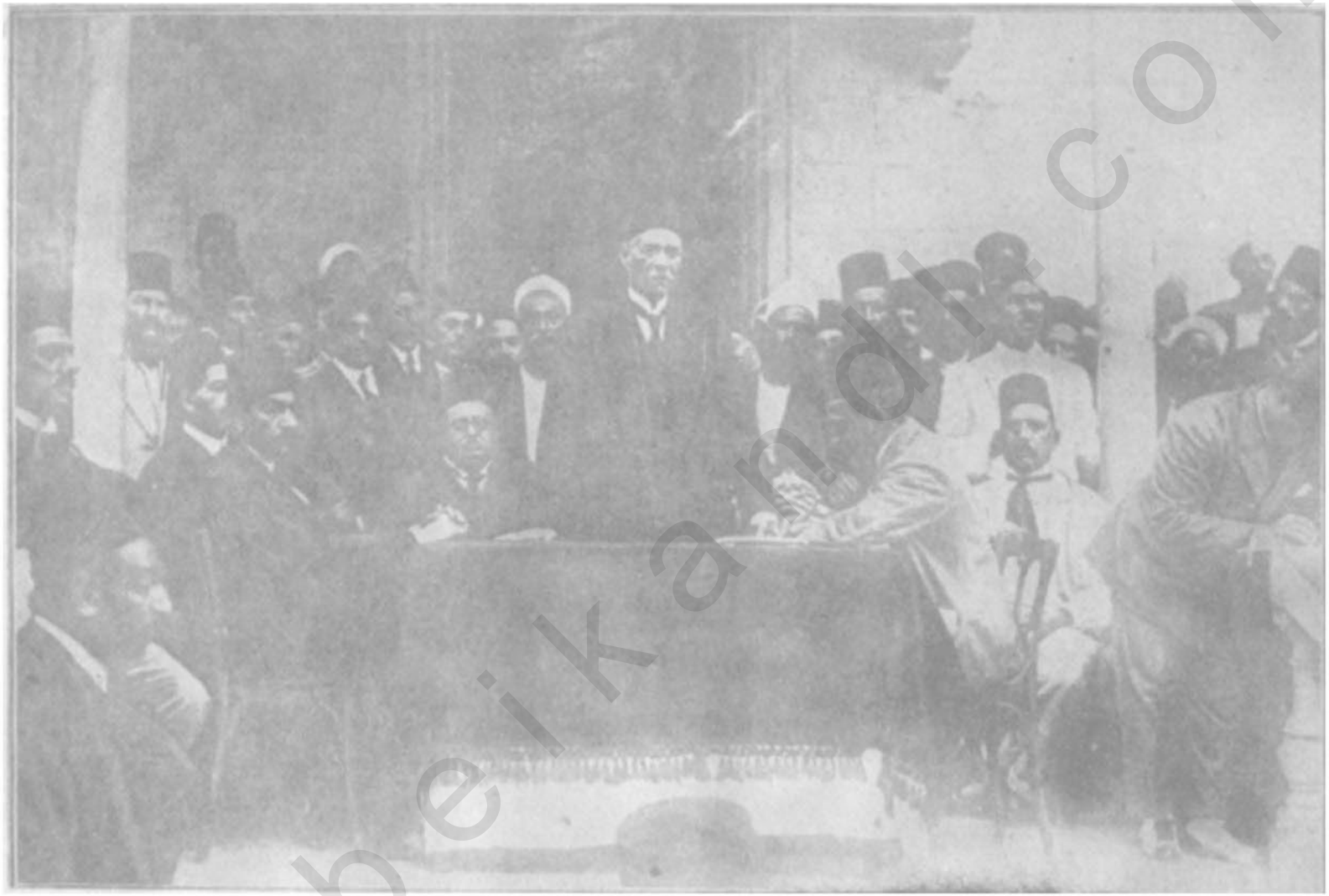

تمثل هذه الصورة التاريخية سعداً كما كان يخطب في الناس في سنة ١٩٢١ في الاجتماع الكبير الذي عقد في دار السيد البكري وقد وقف منتصب القامة مرتفع الرأس رافع الصوت يفيض على الناس بأبيه البيانات فيلهب القلوب ويشعل العزائم وقد جلس الى يمينه المرحوم الامير عزيز حسن والى يساره المرحوم الاستاذ ابو شادي وجلس حول منصة الخطابة سبعون بك حنا ومصطفى باشا النحاس (مصطفى بك اد ذاك) وكتب الخطبة

obeikandl.com

حفلة الأربعين

obeikandl.com

obeikandl.com

حفلة الاربعين

لوفاة المرحوم محمد أبي شادى بك

(عن جريدة الاهرام المؤرخة ٨ أغسطس سنة ١٩٢٥)

كان أمس خاتمة الأربعين لوفاة الوطنى الكبير والخطيب الشهير والكاتب الخطير المغفور له الاستاذ محمد أبى شادى بك ، وكان بعض أهل الفضل قد ارتأوا منذ أيام أن تؤجل حفلة الأربعين الى ما بعد الصيف ليتسنى لكثير من صفوة مريدى الفقيد الكريم وأصدقائه الغائبين عن القاهرة الآن أن يقوموا بواجب تكريم ذكراه ، ولكن ذلك لم يمنع جمهوراً كبيراً من إحياء هذه الذكرى وتحيتها فى حينها . فاجتمعوا زهاء أربعمائة ذات من ذوى العلم والفضل والوجاهة وأكثرهم من أهل حى الخليفة الذين دلوا على صدق تقديرهم لوطنية الراحل الكريم وحسن بلائه فى خدمة القضية المصرية فأولوه النيابة عنهم فى مجلس النواب مرتين ، وكان اجتماعهم فى سرادق فخم ضُرب على مقربة من مدفن العائلة فى قرافة الامام الشافعى فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس .

فلما اكتمل عقد الاجتماع بدئت الحفلة بترتيل ما تيسر من الذكر الحكيم ثم وقف حضرة الاستاذ محمد فهمى أبى الخير أفندى المدرس بمدرسة الأمير فاروق فافتتح الحفلة بخطبة مؤثرة استهلها بالشكر لأهل حى الخليفة الذين رأوا أن يسبقوا غيرهم الى تأدية ذلك الواجب الوطنى ، ثم مضى فى خطبته يسرد حياة الفقيد الكريم فنشرها صحائف بالفخر حاليات ، وأعاد على الاذهان ذكرى تلك الهمم العاليات ، والمآثر الطيبات ، إذ أبان عن المواقف المشرفة التى وقفها الفقيد الكريم فى خدمة الأمة فى كل ظرف من الظروف السياسية الدقيقة التى مرت بها مخلصاً فى خدمته دائب العزيمة قوى الايمان بعدالة القضية التى دافع عنها بقوة جنانه ومتانة بيانه وخلابة لسانه ، وشرح ما كان من ذلك الوطنى الكبير فى ابان النهضة الأخيرة فقد كان قوة من القوى التى عملت مع الوفد المصرى فى النضال عن القضية المصرية

وظل يعمل الى آخر لحظة بالمعهود فيه من الجد والنزاهة والاخلاص .

ثم وقف أحد الأدباء فألقى قصيدة عصماء للأستاذ الدكتور أحمد زكى أبى شادى فى رثاء والده المرحوم ، وقد تمثل فى شعره بر البنوة ، وحنان الأبوة ، إذ كان شعره أصفى مرآة لما طويت عليه نفسه من البر والحنان والوفاء فكان له لذلك أجمل وقع فى النفوس .

ثم تلاه أديب آخر فألقى قصيدة بارعة للشاعر الكبير أحمد محرم تضمنت وصفاً مصوراً لحياة الفقيد الكريم ، وتلاها حضرة الأديب محمد البكرى أفندى فألقى بالنيابة عن أهل حى الخليفة خطبة ضافية ضمنها عظم نصيبهم من المصاب العام بوفاة ذلك الراحل الكريم أشد ما كانت البلاد حاجة الى أمثاله فى اخلاصه وهمته وإقدامه وجرأته وقوة عقيدته وثبات عظمته .

وبعدئذ هتف المجتمعون ثلاثاً : لتحى ذكرى أبى شادى بك !

ثم أخذ الفقهاء يرتلون ماتيسر من الذكر الكريم الى نحو منتصف الليل إذ انفرط عقد الاجتماع ، وكان حضرات محمد العروسى أفندى وكيل مكتب الأستاذ الفقيد وعبد الحفيظ الروبى أفندى صهره وبعض وكلاء المكتب السابقين يقابلون المحتفلين ويشيعونهم بالحفاوة والاكرام .

قصيد البلاد الأستاذ الكبير محمد ابو شادى بك
فى ذكرى الأربعين

كَبَتْكَ عَلَى نُعَاتِكَ أَنْ نُصَابَا ... وَإِنْ فَزِعُوا لِخَطْبِكَ حِينَ نَابَا
رَمَوْا بِصَوَاعِقِ الْأَنْبَاءِ تَهْوِى ... فَتَلْتَهِبُ الْبِلَادُ لَهَا الْتِهَابَا
إِذَا غَمَرَتْ فِجَاجَ الْأَرْضِ نَارًا ... تَدَافَعَ مَوْجُهَا فَطَوَى الْعُبَابَا
أَبَعْدَ الْأَرْبَعِينَ نُجِيبُ نَاعٍ ... فَيَحْمِلَ عَاصِفُ الرِّيحِ الْجَوَابَا
(أَبَا شَادِى) سَكَتَّ وَكُنْتَ صَوْتًا ... شَدِيدَ الْقَصْفِ يَخْتَرِقُ السَّحَابَا
وَرِمْتَ عَنِ الْحَوَادِثِ وَهْىَ تُغْرِى ... تُنَازِعُنَا الْمَضَاجِعَ وَالثِّيَابَا
أَحِينَ رَمَى السَّبِيلَ بِكُلِّ سَارٍ ... رَمَى بِعَزِيزِ فَاحْتَرَمَ الشَّبَابَا
طَلَبْنَا كُلَّ أَرْوَعَ ذِى نِصَابٍ ... فَكُنْتَ أَعَزَّ مَنْ مَلَكَ النِّصَابَا

إِذَا جِئْتَ الْجِنَانَ فَحَىِّ عَنِّى ... مَنَازِلَ فِتْيَةٍ رَفَعُوا الْقِبَابَا
حُمَاةُ النِّيلِ مَا عَرَفُوهُ إِلَّا ... حَيَاةً فِى الْمَمَالِكِ أَوْ ثَوَابَا
أَبَوْا أَنْ يُعْبَدَ الطَّاغُوتُ فِيهِ ... وَأَنْ يَتَخَطَّفَ الْأَرْضَ اغْتِصَابَا
رَمَوْا وَرَمَى فَمَا جَزِعُوا لِخَطْبٍ ... وَلَا وَضَعُوا الْجِبَاهَ وَلَا الرِّقَابَا
مَضَى (عَبْدُ اللَّطِيفِ)(١) فَلَمْ تَدَعْهُ ... وَلَمْ تَدَعِ الْحُدَاةَ وَلَا الرِّكَابَا
فَلِلَّهِ إِذْ لَحِقْتَ بِهِ وَشِيكًا ... حَمَلْتَ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِى كِتَابَا

بَكَيْتُكَ لِلْبِلَادِ تَذُودُ عَنْهَا ... إِذَا الْحَدَثُ الْجَلِيلُ بِهَا أَهَابَا
وَعِنْدِى عِبْرَةٌ لَكَ لَنْ تَرَاهَا ... تَخُونُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ اللُّبَابَا
وَأُخْرَى يَعْتَرِيهَا الْوُدُّ صَفْوًا ... كَمَاءِ الْمُزْنِ نَكْرَهُ أَنْ يُشَابَا

obeikandl.com

وَأَنكَدُ مَا لَبِسْتُ مِنَ اللَّيَالِي ... مَوَدَّةُ مَعْشَرٍ لَبِسُوا الْخِلَابَا
بِأَرْضٍ، تَتْرُكُ الْآسَادَ صَرْعَى ... وَتَسْتَبْقِي الثَّعَالِبَ وَالذِّئَابَا
لَقَدْ أَنْكَرْتُ دَهْرِي مُنْذُ حِينٍ ... وَنَفْسِي وَالْعَشِيرَةَ وَالصِّحَابَا
أَمَنْ عَرَفَ الْيَقِينَ فَصَحَّ رَأْيًا ... كَمَنْ جَهِلَ الْحَقَائِقَ فَاسْتَرَابَا
وَكَيْفَ تُرِيدُنِي عِلْمًا حَيَاةً ... قَرَأْتُ كِتَابَهَا بَابًا فَبَابَا
بِلَادٌ بِيعَ سُوَّارُهَا فَضَاعَتْ ... وَشَعْبٌ صِيغَ جَانِبُهُ فَذَابَا
فَمَنْ يَأْبَ الشَّرَابَ فَقَدْ أُرَانِي ... أَمُدُّ يَدَيَّ أَغْتَرِفُ السَّرَابَا
وَلَوْ أَنِّي سِوَايَ ذَهَبْتُ أَبْغِي ... إِلَى وَطَنٍ سِوَى مِصْرَ انْتِسَابَا
وَمَنْ حَمَلَ الْأَمَانَةَ فِي بِلَادٍ ... تَدِينُ بِغَيْرِهَا حَمَلَ الْعَذَابَا
رُزِئْنَا فِي الْبَقِيَّةِ مِنْ بَنِيهَا ... فَصَبْرًا لِلنَّوَائِبِ وَاحْتِسَابَا
أَيَبْقَى مَنْ نُصَابُ عَلَى يَدَيْهِ ... وَيَمْحِينَ مِدْرَهُ الْقَوْمِ الذِّهَابَا
أَصِبْتُ لَهُ وَمَا بِالْمَوْتِ نُكْرٌ ... إِذَا نَشَرَ الْأَسَى وَطَوَى الْعِنَابَا
فَإِنْ يَذْهَبْ بِنَا قُبُرٌ اخْتِلَافٌ ... فَإِنَّ لَنَا إِلَى الْحُسْنَى مَآبَا
إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ عَلَى يَقِينٍ ... فَقَدْ أَرْضَاكَ أَخْطَأَ أَمْ أَصَابَا
وَلِلْأَحْزَابِ وِجْهَتُهَا فَدَعْهَا ... إِلَى أَنْ يَقْشَعَ النُّورُ الضَّبَابَا
سَتَذْكُرُهُ إِذَا الْغَبْرَاءُ هَبَّتْ ... تَلُفُّ الشَّيْبَ مِنَّا وَالشَّبَابَا
وَتَعْرِفُهُ إِذَا الْأَحْدَاثُ رِيعَتْ ... فَزِعْنَا نَنْشُدُ الْأُسْدَ الْغِضَابَا
وَكَانَ عَلَى الْعِدَى أَشَدَّ ظُفْرًا ... إِذَا شَهِدَ الْوَغَى وَأَحَدَّ نَابَا
أَ(أَحْمَدُ) هَلْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ إِلَّا ... أَحَقَّ الطِّبِّ بِالْمَرْضَى رِحَابَا

إِذَا كَرِهُوا الْمَضَاجِعَ مِنْ حَرِيرٍ ... أَحَبُّوا فِي مَضَاجِعِهِ التُّرَابَا

وَإِنْ نَغِصُوا الْمَشَارِبَ سَائِغَاتٍ ... رَضُوا بِالصَّابِ مِنْ يَدِهِ شَرَابَا

إِذَا بَاتَ الْهُجُوعُ أَعَزَّ شَيْءٍ ... أَصَابُوهُ بِسَاحَتِهِ بِنَابَا

وَكَمْ مِنْ غَفْوَةٍ لَوْ قَوَّمُوهَا ... بِمِلْءِ الْأَرْضِ جَاوَزَتِ الْحِسَابَا

رَأَيْتُ السَّقْمَ أَكْثَرَهُ ضَلَالٌ ... وَلَمْ أَرَ كَالطَّبِيبِ سَقَى فَخَابَا

عِقَابُ الدَّاءِ مِنْ طِبِّ الْمَنَايَا ... إِذَا لَمْ يَخْشَ مِنْ طِبٍّ عِقَابَا

* * *

إِلَيْكَ فَتَى الْقَرِيضِ رِثَاءَ عَانٍ ... يَزِيدُ الدَّاءُ مَنْطِقَهُ اضْطِرَابَا

كَأَنَّ ثِيَابَ (قَيْصَرَ) أَدْرَكَتْنِي[2] ... فَتِلْكَ قُرُوحُهَا تَعْدُ الثِّيَابَا

وَمَا أَنَا وَامْرَءَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرٍ ... رَعَى الْحُرُمَاتِ أَمْ ضَمَّكَ الْجَنَابَا

أحمد محرم

---

(١) هو فقيد الأمة عبد اللطيف الصوفاني بك رحمه الله

(٢) هو الأستاذ الأديب الطائر الصيت الدكتور احمد زكي أبو شادي نجل العلامة الجليل المغفور له محمد أبي شادي بك.

(٣) في هذا البيت والذي بعده اشارة الى تلك الحلة المسمومة التي أهداها ملك الروم الى امرئ القيس وكانت داعية هلاكه والقصة مشهورة

قصيدة الدكتور أبى شادى

أبكيكَ من قلبي الحزينِ طويلاَ ... وأظلُّ يحسبنى الوفاءُ بخيلا

وتفيضُ من غالى الرثاءِ جوارحى ... فيؤبِّنُ التاريخُ فيكَ جليلا

بل جيلَ آثار سطعنَ على المدَى ... شَرَفاً ، وصيَّرْنَ الممات ضئيلا

ما ماتَ مثلُكَ فى نُفوذِ شعُاعه ... أبداً ، فقد كان النبوغُ كفيلا

والعبقريّةُ لن يُقدِّر كنهَها ... عِلمٌ ، ولن يدرى لها تحويلا

أبكيكَ ، لا أبكى خوالدَ فطنةٍ ... لكنَّنى أبكى الوفاءَ قتيلا (١)

أبكيك ، لا أبكى الحياةَ مقيمةً ... لكنَّنى أبكى الفراقَ رحيلا

ثقْ يا أبى أنى المقدِّرُ قدْرَها (٢) ... ومُكرِّمٌ فيكَ الخلود أثيلا

فاصفحْ عن الولدِ الذى لك روحهُ ... إنْ عدَّ جسمكَ للحياةِ خليلا

مهما سَمَوْتَ غرائزاً ومناقباً ... ماكان هيكلكَ الكريمُ ذليلا

عارٌ على الموتِ الخؤون وقد سطا ... أن يدفنَ الأثرَ النبيلَ مَهيلا

حُكمُ الطبيعةِ عُذرُه وشعارُه ... ويرى خلودَك كافياً ونبيلا

لِمَ لا تفيضُ مدامعى بعواطفى ... فلكم بذلتَ من الحنان بديلا ؟

ولكمْ وهبتَ عزيزَ رُوحِكَ مثلما ... أتعبتَ جسمَكَ للوفاءِ وكيلا

لو كنتُ مثلكَ فى المكانةِ والحجا ... مازلتُ أجزَعُ للفراقِ عليلا

لكنَّ دفنَك كان دفنَ معالمٍ ... للفضل أطلعَها الزمانُ دليلا

عِشْ رغمَ هيكلها المهيلِ بما وَعى ... هذا الوجودُ من الضياء سليلا !

---

(١) من المحقق أن السبب المباشر لوفاته قبل الاوان كان اندفاعه وتفانيه فى نصرة حزبه السياسى ، فكان مجهوده العظيم فوق مايحتمله الشباب دع عنك الشيوخ ، فكان مضرب الامثال فى الغيرة السياسية والثبات على المبدأ والوفاء الشهيد .

(٢) اشارة الى اعتقاده بخلود الحياة السامية ، وان حزن لانعدام هيكلها الجثمانى الذى يجل لاجلها ويعد قرينها .

فى كلِّ جوهرةٍ وكلِّ كريمةٍ خلّفتَ من أثر النُّبوغ زميلا !
حتى أراكَ بكلِّ فخرٍ ناطقٍ ولئنْ عدمتَ من الرجالِ مثيلاَ !

***

واليومُ ذكرى الأربعين ، وإنها ذكرى تصاحبُ أمةً وقبيلا
وَفدَ الوفودُ ليذكروا لك حفظَها لجميلِ سعيكَ صادقاً وأصيلا
صاغوا الرثاء من المشاعر والنُّهى لعظيمِ قدركَ ـ عاتباً ـ إكليلا
فاذا شكرتُ شعورَهمْ ووفاءهم فلكمْ سبقتَ وكم شكرتَ جزيلا
إنا جميعاً فى المصابِ كاخوةٍ فقدوا بفقدِكَ موئلاً ومقيلا
يأبونَ شكراناً ويأبى فضلُهمْ إلا الأسى والذكرَ والتبجيلا
وأنا المقرُّ بفضلهمْ وببرِّهم أعصى الثناءَ على الوفاءِ جميلا
فلهمْ من الخلقِ الكريم جزاؤهم وأجلُّ شكرانى يُعَدُّ قليلا !

———

ما ماتَ من حازَ الثرى آثارَه

واســـتولتْ الدنيا على آدابِهِ

شوقي

obeikandl.com

حفلة بأبنه الكبرى

obeikandl.com

obeikandl.com

حفلة تأبينه الكبرى

بمسرح حديقة الأزبكية فى يوم الجمعة ٢ يولية سنة ١٩٢٦

لمناسبة مرور عام على وفاته

قالت جريدة «الاهرام» المؤرخة ٢ يولية سنة ١٩٢٦ :

تُقام اليوم الساعة الخامسة مساء فى مسرح حديقة الازبكية حفلة تأبين المغفور له الاستاذ ابو شادى بك .

وقد تفضل حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا فقبل دعوة لجنة الاحتفال لحضور هذه الحفلة وسيحضرها مع دولته حضرات أصحاب الدولة والمعالى الوزراء الموجودين فى القاهرة اليوم .

وقد وضعت لجنة الاحتفال البرنامج التالى لهذه الحفلة وهو :

برنامج الحفلة

١ — تلاوة آى الذكر الحكيم

٢ — كلمة الافتتاح للأستاذ مصطفى النحاس باشا — صفات الفقيد

٣ — كلمة الاستاذ راغب اسكندر — تاريخ الفقيد

٤ — قصيدة الاستاذ احمد نسيم

٥ — كلمة الاستاذ كامل صدقى بك — عن نقابة المحامين

٦ — كلمة الاستاذ فكرى أباظه

٧ — قصيدة الاستاذ خليل مطران بك

٨ — كلمة الاستاذ محمد لطفى جمعة

٩ — كلمة الاستاذ احمد فهمى أبو الخير أفندى عن دائرة الخليفة

١٠ — كلمة الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتى

١١ — كلمة الصحافة للاستاذ أحمد حافظ عوض بك

١٢ — زجل للاستاذ محمود رمزى نظيم

١٣ — كلمة الختام

ثم ذكرت بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩٢٦ :

عُنيت لجنة الاحتفال بتأبين فقيد الوطن المرحوم الاستاذ الكبير محمد أبي شادى بك بجعل هذه الحفلة مظهراً من أعلى مظاهر الوطنية وأسماها . فلم تكد تنتصف الساعة الخامسة بعد ظهر أمس حتى أخذت الجماعات المتوالية المدد من طلبة العلم والعلماء وأهل الادب والفضل ورجال الصحافة والمحاماة والقضاة والنواب والشيوخ تفد تباعاً على تياترو حديقة الازبكية ، وقد أجابت بعض فضليات السيدات والاوانس داعى وطنيتهن فأقبلن على مكان الاحتفال مشاركات وجلسن فى أربع شرفات . وفى الساعة الخامسة إلا ربعاً أقبل حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا ومعه حضرة صاحب المعالى محمد فتح الله بركات باشا فاستقبل بالتصفيق المتوالى ، والهتاف المتعالى ، وأعدَّ المسرح للجنة الاحتفال برياسة حضرة صاحب السعادة الاستاذ مصطفى النحاس باشا وكيل مجلس النواب وأفردت ناحية منه لمندوبى الصحف فجلسوا الى منضدة خاصة بهم .

ولتمام الساعة الخامسة رفع الستار وافتتحت الحفلة بترتيل ما تيسر من آى الذكر الحكيم .

ثم وقف حضرة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن الجديلى وألقى الرسائل البرقية التى أرسلها المعتذرون من تخلفهم عن حضور الحفلة وبينهم حضرات صاحب الدولة حسين رشدى باشا وصاحب المعالى محمد محمود باشا والاستاذ ابراهيم الهلباوى بك والسيد مصطفى هاشم نائب السويس والاستاذ فكرى أباظه افندى نائب سنهوا والاستاذ محمد عبد الرحمن الصباحى وهذا نص برقيته :

« قويسنا فى ٢ يوليو — كانت وفاة أبي شادى بك ضربة قاسية من القضاء وخسارة لا تعوض للبلاد ، فحرمتها حركة دائمة ، ويداً كبيرة عاملة ، وقوة عظيمة مفكرة ، وكانت صفحة الوفاء فى الجهاد تظل ناقصة لو لم تتداركوها بهذه الحفلة الرائعة وانها لجديرة بكم ، وان ذكرى أبي شادى بك لخليقة بأن تخلد فى تاريخ الوطنية المصرية فتبقى الى الابد مثال الجراءة فى الحق والشجاعة فى العمل والثبات على المبدأ » .

ثم وقف حضرة صاحب السعادة الاستاذ مصطفى النحاس باشا رئيس لجنة الاحتفال فألقى الخطبة الآتية القاءً استرعى القلوب والاسماع بروعته ، وبخلابة أسلوبه وحسن أدائه ، وكان يقاطع بين آن وآخر بالتصفيق .

المرحوم الاستاذ ابو شادى بك

اقيمت في اليوم التالي من شهر يوليو في مسرح حديقة الازبكية حفلة تأبين احياء لذكرى المرحوم السيد محمد ابو شادي بك نقيب المحامين وعضو مجلس النواب بمناسبة مرور عام على تاريخ وفاته فغص المكان بجمهور عظيم من رجال السياسة والعلم والقانون والادب ووقف الخطباء والشعراء يمجدون صفات الفقيد الكريم الذي لعب في حياة مصر العملية دوراً عظيماً ورفع عالياً لواء العلم والصراحة الادبية والاخلاص لمبادىء الوطنية السامية . والاستاذ ابو شادي بك كان من ابناء مصر الذين عانوا في سبيل حرية البلاد واستقلالها العذاب والسجن والاعتقال ولكن كل ذلك لم يفل عزمته ولم يمنعه من القيام بواجبه الى النهاية رحمه الله

(اللطائف المصورة)

الزعيم الجليل فى حفلة تأبين ابى شادى بك

لم يشأ الزعيم الجليل صاحب الدولة سعد زغلول باشا الا ان يشارك الامه المصرية في احياء ذكرى فقيد الوطن والمحاماة الاستاذ ابو شادي وقد تكرم حفظه الله وسمح لمصورنا ان يأخذ هذا الرسم البديع حيث يرى زعيم البلاد جالساً في مقصورته والى يساره صاحب المعالى محمد نجيب الغرابلي باشا وزير الاوقاف

(اللطائف المصورة)

obeikandl.com

ثم وقف حضرة الأستاذ راغب اسكندر أفندى فألقى خطبة ضافية بليغة العبارة والاثر فى أنفس السامعين جميعاً وقد ضمنها تاريخ الفقيد الكريم منذ وُلد الى أن بلغ ذلك المبلغ العالى وأصبح علماً من أعلام مصر ، وكان يقاطع فى الفترة بعد الفترة بالتصفيق .

ثم وقف حضرة الشاعر الاجتماعى الشهير الاستاذ أحمد نسيم أفندى فقوبل بالتصفيق وألقى القصيدة الرصينة المنشورة فى الصفحة الأولى ، وقد استعيد كثيرٌ من أبياتها .

ثم وقف حضرة الأستاذ كامل صدقى بك فألقى بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن نقابة المحامين خطبة مسهبة رصينة العبارة طليتها ضمنها سيرة الفقيد الكريم محامياً وما له من المواقف المشهورة فى سوح القضاء وما له فى أنفس اخوانه من المكانة المكينة فأجاد وأبدع ، ولولا ضيق المقام لنشرنا تلك الخطبة .

ثم وقف شاعر القطرين وأديب الصناعتين خليل مطران بك فألقى القصيدة المنشورة على الصفحة الأولى ، وهى كما يراها قراؤها يلتقى فيها الحسن والابداع المرة بعد المرة فى البيت بعد البيت وقد استعيد أكثر أبياتها مراراً .

ثم وقف حضرة الأستاذ محمد لطفى جمعة فارتجل من وحى بديهته خطبة أطربت سامعيها وبعثتهم على التصفيق له واستعادته مراراً ، فقد تابع الفقيد الكريم فى حياته الصحفية وفى خدمته للقضاء فأبان عن مآثر وآثار ، تملأ النفوس من الاكبار ، وما زال يفتن ويبدع حتى مثل الفقيد الكريم فى صورة بيانية رائعة وكان يقاطع فى الحين بعد الحين بتصفيق الاعجاب .

ثم ألقى حضرة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير أفندى بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن أهل حى الخليفة التى كان الفقيد الكريم يمثل دائرتها الانتخابية فى دور الانعقاد الأول لمجلس النواب وفى الدور الثانى فذكر ما له من الأيادى البيضاء وما عرف به من الشمم والمكارم والمضاء ، فأجاد وأحسن وصُفق له مراراً .

ثم وقف حضرة صاحب السعادة الأستاذ مصطفى النحاس باشا فقال انه نظراً الى ضيق الوقت رأت اللجنة أن تختصر البرنامج مكتفية بأن خطبتى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ السيد مصطفى القاياتى وصاحب العزة الاستاذ أحمد حافظ عوض بك ستنشران فيما بعد .

ثم دعا الكاتب الشاعر الرجال الشهير محمود رمزى نظيم أفندى فألقى زجلا بديعاً رثى به المرحوم ، وكان يقابل فيما بين المقطع والمقطع بالتصفيق الحاد وقد استعيد مرات .

ثم وقف حضرة صاحب السعادة الاستاذ النحاس باشا فقدم للحاضرين حضرة الشاعر الشهير والاديب الكبير الدكتور أحمد زكى أبى شادى نجل الفقيد فألقى القصيدة الآتية :

يفيض بشكره القلب العميدُ ... ولولا فيضكم براً يميدُ
أُحيط بعهدكم وأُقيلَ حتى ... كأن خفوقه عمر جديد
وكم أحيا الوفاءُ رجاء عانٍ ... وقام بركنه المجد المجيد
وما عذر الذى يشجى وهذا ... عزاء إخائكم ابداً يزيد
ذرونى منشداً شكران لبى ... ففى شكرانكم يرضى النشيد
فليس أبى سوى فكر وعهد ... وانتم ذلك الفكر الرشيد
أراه بسعيكم لبناء مجد ... يبيد الهادموه ولا يبيد
تنقَّل أو تنوَّع فى وجود ... فيدهشنا التنقل والوجود
كذاك الناس فى صور انتقالٍ ... ولا تمضى المآثر والجهود

* * *

فيا أهل السماحة فى زمان ... تضيع به المروءة والعهود
ويا فخر البلاد وخادميها ... أسير وفائكم قلبى الودود
محالٌ أن يساد مآل شعب ... به حكم العقيدة ما يسود
وما موتى اليقين وان تولوا ... بموتى ، فالمآثر ما تقود
دفنت أبى وولى العام لكن ... أرى إلهامه أبداً يعود
فان الجسم للعقل المعلى ... كدار لن يصاحبها الخلود
وأما المرء فهو قرين فكر ... يزيد بقاءه الامد المديد
ونعم الفكر إن ضحى بجسم ... ولم ترهب جلالته اللحود
فلى هذا العزاء الجم ، لكن ... عزاؤكمو هو البرُّ الأكيد
فباسمِ الصدق أحمدكم اليكم ... وباسمِ وفائكم أبداً أشيد
وأشعر من محبتكم كأنى ... قوى ، مستعز ، لا وحيد

وقد صفق الحاضرون مرات لتلك القصيدة البديعة . وبعد ذلك وقف سعادة النحاس باشا فشكر باسم اللجنة لحضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا تشريفه الحفلة ولحضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة النواب والشيوخ وغيرهم من الكبراء اجابتهم داعى وطنيتهم ، ثم خص بالشكر حضرة النائب الفاضل فؤاد سلطان بك وحضرات اخوان عكاشة لوضعهم التياترو تحت تصرف اللجنة ، ثم أعلن انتهاء الحفلة .

فخرج الحاضرون يهتفون لصاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا هتافاً عالياً متكرراً ويترحمون على الفقيد الكريم .

***

وقالت جريدة البلاغ بتاريخ ٤ يولية سنة ١٩٢٦ :

ليس أدل على حياة الشعوب وعظمة أخلاقها وشرف احساسها من عرفانها بأقدار نوابغها وعنايتها بآثارهم وتمجيدها لأعمالهم وتشييدها بذكراهم . وقد شهدنا أمس الأول مظهراً من تلك المظاهر الشعبية العالية فى الحفلة التأبينية الكبرى التى أقامتها لجنة الاحتفال بذكرى الفقيد العزيز المرحوم محمد أبى شادى بك فى الساعة الخامسة بعد ظهر الجمعة ٢ يولية بمسرح حديقة الأزبكية .

ولاشك أن فى تمجيد العالمين والاشادة بذكراهم واشتراك عظماء الأمة فى تخليد آثارهم مبعثاً لروح الاقدام والتفانى فى خدمة البلاد ، وحثاً للناشئة على التطلع الى عظائم الأعمال وجلائلها .

ولما كان الفقيد من الرجال الشعبيين الذين عرفتهم البلاد وخبرت صدق ايمانهم وقوة يقينهم فقد تقاطر جمهور كبير من عظماء البلاد وكبرائها وأهل الفضل ورجال العلم والأدب والنواب والشيوخ وأساطين القانون وطلبة العلم إلى مكان الحفلة قبل موعدها بساعة كما ازدانت شرفات السيدات بنخبة من كريمات العقائل والاوانس قدمن لمشاركة الرجال فى تمجيد ذكر الفقيد الكريم .

وعند الساعة الرابعة والدقيقة ٥٠ قدم صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا يرافقه صاحب المعالى محمد فتح الله بركات باشا فتلقاه الحاضرون بالتصفيق المستمر والهتاف الذى دوت له جوانب المسرح وجلس دولته فى الشرفة المعدة له بين التكريم والحفاوة .

ورفع الستار فى الساعة الخامسة عن لجنة الاحتفال والخطباء ومندوبى الصحف ، وكان فى وسط الجميع رئيس اللجنة صاحب السعادة مصطفى النحاس باشا وقد وضعت صورة الفقيد فى جانب المسرح مجللة بالسواد وجلس نجله الدكتور أحمد زكى أبو شادى عن يمين الاستاذ النحاس باشا .

ومن ثم افتتحت الحفلة بتلاوة آيات الذكر الحكيم فأنصت الحاضرون خشوعاً .

ثم وقف الاستاذ الجديلى سكرتير الحفلة وقرأ برقيات الاعتذار .

ثم تقدم الى منصة الخطابة صاحب السعادة الاستاذ مصطفى النحاس باشا فألقى كلمته الطيبة بصوت قوى ونبرات تفيض بالتأثر والتفجع على الفقيد ، فكان لها وقع مؤثر فى نفوس السامعين وقد قاطعوها بالتصفيق والاعجاب .

وفى الختام وقف صاحب السعادة الاستاذ مصطفى النحاس باشا فقدم للحاضرين الشاعر النابه والبحاثة الكبير الدكتور أحمد زكى أبى شادى نجل الفقيد فألقى قصيدته الآتية فكانت عنوان بر الابناء بالآباء وذوب كبده المتفجعة على والده كما كانت اسمى معانى الشكر للحاضرين .

***

وقالت جريدة (المقطم) :

كان أبو شادى بك — رحمة الله عليه — علماً من أعلام الحركة الوطنية وقطباً كبيراً من أقطاب السياسة والقانون والصحافة فى مصر وزعيماً من زعماء السعديين دفعت مواقفه المشهودة وصيته الذائع وشهرته البعيدة عدداً عظيماً من رجال العلم والادب والقانون الى الاحتشاد فى تياترو حديقة الازبكية بعد ظهر الجمعة احتفالا بذكراه السنوية الاولى ، فلم تنتصف الساعة الخامسة حتى ازدحمت ردهة التياترو ومقاصيره العديدة بهذا الجمهور العظيم يتقدمه لفيف كبير من حضرات الشيوخ والنواب والقضاة والعلماء وبعض السيدات والأوانس حتى ضاقت بهم المقاعد فوقف عدد عظيم من بدء الاحتفال الى انتهائه ، وبالجملة فان مظاهر هذه الذكرى العديدة كانت كلها دلائل وفاء وتقدير لجهود الراحل الكريم الكثيرة وبرهاناً ساطعاً على ان المصريين يعرفون للمحسن احسانه ويشيدون بذكرى قادتهم وزعمائهم الاشادة التى يستحقونها حثاً للشبيبة على البذل والتضحية فى سبيل البلاد .

خطبة النحاس باشا

صفات الفقيد

سيداتى ، حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل ، حضرات أصحاب المعالى، سادتى:

أتشرف بأن أقدم لحضراتكم واجب الشكر على تفضلكم بالحضور لمشاركتنا فيما اجتمعنا اليوم من أجله وهو الاحتفال بذكرى رجل من رجالات مصر الأفذاذ أولئك الذين كان لهم أثر فى نهضة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية فان فى ذكرى أولئك العظام ، وتعرف صفاتهم ، ودراسة حياتهم ، لوفاء للسلف ، وشحذاً لهمم الخلف ، وإنصافاً للتاريخ ، وتحبيباً الى المجد .

عرفت ذلك الأمم الغربية ، فلا يكاد النابغ أو العبقرى يشب عن طوقه حتى تتلقاه أمته بأنواع التكريم ، وتصوغ له قلائد الرفعة ، وتؤلف له أكاليل الغار ، ثم لا تزال تتبعه من مولده الى منقلبه ، حافلة بآثاره ، منوهة بأعماله ، جاعلة أظهر أيامه أعياداً ومواسم . فاذا انقضت حياته الفانية ، بدأت حياته الخالدة ، فلا تزال ذكرياته تتجدد على الأيام ، فتقتبس منها أمته العبر والعظات ، والحكم البالغات ، ويتلقى عنها النشء دروس البطولة وآيات النبوغ ، والأمة فى أثناء ذلك تعتز بمن أنبتت وتفتخر بمن أنجبت .

فاذا نحن مجدنا ذكرى وفاة المرحوم أبى شادى ، فانما نمجد أمتنا ، ونغذى نهضتنا ، ونحفل بالنبوغ القومى ، والذكاء المصرى . كان الفقيد الذى نمجد ذكراه ذا صفات نادرة من حق التاريخ أن يعيها ، ومن واجب الجيل الحاضر أن يحتذيها.

كان قوىّ الارادة ، وثاب العزم ، سرمدىّ الحركة ، تعرض له جلائل الأعمال فلا يقعده عنها ضعف ولا سأم ، وشر ما يخمد جذوة الذكاء ويفلّ من حدة الذهن ضعف الارادة .

رام الصحافة وهو رقيق الحال ، قليل المال ، لكن كان من قوة ارادته فى ثراء عظيم ، فخرج على قومه بجريدته « الظاهر » ينشر فيها ناضج الآراء ، ويعالج من

الشؤون السياسية أصعبها وأعضلها بحكمة وحزم وهوادة ، وجعل للآداب فيها مجالا فسيحاً ، فكان للجريدة أثر غير قليل فى إحياء اللغة وإنعاشها .

ولقد كانت تلك الصحيفة تصور الروح المصرية ، والفكرة المصرية ، والشخصية المصرية ، وذاع صيتها ، وبلغت ما أمله لها .

ظهرت أيضاً قوة ارادته ، الى جانب تلهب قريحته فى المحاماة ، فما زال يرفع قواعدها مع السابقين الأولين ويشذب من أشواكها ويتوفر على معالجتها ، حتى تم له ما أراد منها ، من شهرة طبقت الآفاق ، وجرت بها الأمثال ، حتى لقد رسخ فى نفوس العامة أن أى قضية يدافع فيها الفقيد هى رابحة . فانظروا الى نفسية رجل من سكان مصر العليا قال لصاحبه وهو يحاوره ويتوعده :

« أقتلك وأبيع نصف فدان لتوكيل ولد أبو شادى ! » — هذا الرجل الريفى طُبع فى نفسه من مواقف الفقيد صورة النصر الذى يلازمه والتوفيق فيما يقصد اليه ، فخيل اليه ان أبا شادى يقلب الباطل حقاً ، فيبرىء الأثيم بما أوتيه من طلاقة اللسان ، وتدفق البيان ، ولطف العبارة ، وحسن الفكاهة ، واسترعاء اسماع الحاضرين — نظير عبارة هذا الريفى ما قيل فى وصف أبى حنيفة الامام الاعظم :

« لو ادعى أن السارية من ذهب لاقام عليها الحجة »

ولقد عرف للفقيد زملاؤه المحامون فضله فانتخبوه نقيباً لهم .

من أظهر صفاته أيضاً الوفاء ، والوفاء أيها السادة فى الناس قليل ، وأخلد الناس فى صحف التاريخ أصبرهم على الوفاء . كان وفياً لمبدئه ، وفياً لأصدقائه ، وفياً للناس أجمعين .

أما وفاؤه لمبدئه ، فيظهر فى نضاله السياسى الذى بقى يقاسى أهواله ، ويعانى أحواله ، ويخوض غماره ، مستعذباً آلام رفح ومضض الاعتقال . وقد انضوى تحت لواء سعد زعيم الحركة الوطنية ومحيي النهضة القومية وكان له وفياً يرشد بلسانه وقلمه كل خوار العزم ، واهن الارادة ، حتى ملأ الاسماع ، وبهر القلوب بماله من مأثور القول وعذب البيان .

وقد عرفت له الأمة وفاءه لسعد ولمبدأ سعد فانتخبته عضواً فى مجلس النواب نائباً عن دائرة قسم الخليفة مرتين متواليتين .

وأما وفاؤه لأصدقائه ، فرائع صوره تلك التى رُؤى فيها يوم جاء مجلس النواب وهو عضو فيه : جاء يحبو حبواً ، والمرض يلح عليه ، وهو يصارعه ، مهدود القوى ، يتهدم من الضعف . وانما جاء به وفاؤه لأصدقائه ، وحرصه على نيابته ، وتلبيته لصوت الواجب الذى أهاب به ، جاء يضم صوته الى أصواتهم ويقوى برأيه آراءهم .

وله فى الوفاء للناس مواقف يذكرها التاريخ فى صحف مطهرة ، مرفوعة مكرمة : فان نفسى له وفاءه لكل مظلوم سمع انه فى حاجة الى من يدافع عنه ، فيذهب وشيكاً ، لايبغى من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً .

وأدخل من ذلك فى باب الاحسان الذى طبع عليه انه كان ينفق فى هذا السبيل من ماله الخاص ، على ما به من خصاصة .

سمع ان ضابطاً مصرياً يحاكم أمام مجلس عسكرى ، وان سيل الحوادث قد جرفه فيمن جرف ، فما كان أسرعه الى نجدته والوقوف الى جانبه . ولما ظهرت براءته جاءه أهله بمائتى جنيه ، فأبى عليه حبه للخير ونزعته الوطنية أن يصل اليه شىء ، وشاء أن يكون صنيعه خالصاً لوجه الوطن ، ولوجه الله تعالى .

وهكذا الحال فى جميع القضايا التى كان يدفعه الواجب الوطنى الى تولى الدفاع فيها تلبية لنداء اخوانه من جميع الأرجاء ، فكان الانسان يدهش غاية الدهش حينما يراه مصبحاً بمصر وممسياً بأسيوط ، ويوماً بالصعيد ، ويوماً برشيد ، كل دار للعدالة دوى فيها صوته ، وتجاوبت بينها أصداء دفاعه ، فترك فيها خير الآثار .

أما تضحيته لخدمة بلاده ، فليس أكرم فيها من جوده بنفسه . فلقد تداخله المرض وهو يتقلب فى البلاد أيام المعركة الانتخابية الأولى ، لا يعرف للراحة طعماً ، ولا للنوم لذاذة ، حتى لا يكاد يخلو مجتمع انتخابى من آثاره ، يفيض على الناس معيناً عذباً من الوطنية الصادقة والاخلاص المكين .

نعم لقد أثر هذا المجهود الطويل فى أنسجة جسمه ، فدبّ فيه المرض ، وأخذ يتشعب ، ولكن أنى لأمثال هذا الرجل العظيم أن يقعدهم المرض عن جلائل الاعمال وكل منهم يردد :

سبحان خالق نفسى كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم !

جمع الفقيد الى قوة إرادته ووفائه واحسانه وتضحيته ، لطف تندره ، وخفة ملحه ، وشاعرية حساسة ، وقلباً رقيقاً يلين لذكر الله . فأنت تراه فى حلقة الذكر مطرقاً خاشعاً خائفاً يرتل وروده ، فلست حينئذ أمام هذا الرجل الدنيوى الذى يرن صوته أمام منصات القضاء وفوق أعواد المنابر ، وانما أنت أمام زاهد ، عازف عن الدنيا وزهوها ، قوته التسبيح وغذاؤه الذكر .

وكذلك أيها السادة ذوو العقول الجبارة والأذهان الخصبة ، والقلوب الصافية ، يردون كل مشرع ، ويرون فى مظاهر الحياة قد اتسقوا فى كل نظام ، وأشرفوا من كل ناحية . لاينسون نصيبهم من الدنيا ، ثم يبتغون الدار الآخرة ، فيغذون الناحية الروحية كلما أمكنتهم الفرصة .

وان حياة حافلة بجلائل الاعمال ، قد ذكرنا بعض صفاتها ، لحرية بالخلود ، حرية بالذكرى ، حرية بالتمجيد .

تاريخ حياة

المرحوم محمد أبو شادى بك

نقيب المحامين وعضو مجلس النواب

خطبة الاستاذ راغب اسكندر

حضرة صاحب الدولة . حضرات أصحاب المعالى . سيداتى . أيها السادة .

حرمتنا الظروف السياسية أن نقوم بواجب الوفاء للاستاذ أبى شادى فى احياء ذكراه يوم الأربعين لوفاته .

وها نحن اليوم نجد اراحةً لضمائرنا أن نؤدى هذا الفرض المقدس بمناسبة ذكرى السنة لتلك النفس التى صبرت وصابرت وقاست وتحملت من عاديات الأيام ما لا تتحمله الجبال الراسيات .

ولقد كان من نصيبى أن أقوم بسرد طرف من تاريخ حياته . ومأموريتى فى هذا بسيطة فانى أنقل ماسطره الكاتبون ، ومارواه الراوون عنه ، وما أعرفه أنا شخصياً بسبب الاتصال به زمناً غير قليل فى الحياة العامة ، وأرجو المعذرة إذا كررت قليلا .

وُلد الفقيد بناحية قطور غربية فى ليلة الخميس ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٨١ هجرية الموافقة سنة ١٨٦٣ ميلادية .

هو محمد بن أبى شادى الدحدوح بن أبى زيد بن محمد بن محمد بن مصطفى ابن محمد بن سعد بن محمد بن شعيب بن ادريس بن محمد بن موسى أخ السيد ابراهيم الدسوقى يتصل نسبه بالحسين بن على .

وإذ بلغ الرابعة أدخله والده — وكان من ذوى الفضل والوجاهة فى قومه — الكتاب فأجاد القرآن الكريم ، ثم ألحقه فى شوال سنة ١٢٩٠ هجرية بالازهر الشريف . فتلقى العلم عن أساتذة كبار من بينهم المرحوم الشيخ زين المنصفى الشهير ، والشيخ الاشراقى والشيخ الامبابى . وبوفاة والده فى أواخر جماد الثانى

من سنة ١٢٩٨ هـ . انقطع عن الجامع الازهر . ولكنه والى العلم بالجامع الاحمدى على المرحومين الشيخ عبد العزيز يحيي والشيخ محمد البهى الحويحى . وفى سنة ١٨٨٥ م . نزع إلى المحاماة فاشتغل بها . وهذا القسم الحافل من تاريخ حياته سيتفضل بالكلام فيه الاستاذ كامل بك صدقى .

وقد اشترك الفقيد فى الحركة القومية من أربعين سنة مضت . وكان له نفوذ كبير فى بث روح الحمية حينذاك بين قومه وعشيرته ، إذ كان شاباً يتدفق غيرة واخلاصاً ، خصوصاً مع ماعُرف به من نعومة أظفاره بطلاقة اللسان واستثارة النفوس بسامى العبارات ولطيف النكات .

كصحفى

وحياته كصحفى حافلة : فقد أصدر فى سنة ١٩٠٥ صحيفة «الامام» الاسبوعية الأدبية ، وقفاها بجريدة « الظاهر » اليومية ، واستعان فى تحريرها بصفوة من رجال الأدب والفن بمصر وسوريا . وقد كانت لهذه الصحيفة مواقف معدودة وحملات مشهورة لم تغب حتى عن أذهاننا نحن شبان ذلك العصر ، على أن الروح العامة لم تكن فى ذاك الحين لتساعد على انتشار الجرائد إلا بمساعدة قوية وهيهات أن يجدها أمثال الفقيد وهو بما عرف عنه من الصراحة فى القول والبعد عن التمليق والهروب من سياسة الدسائس . على ان عدم ظهور « الظاهر » لم يدع لهذا القلم أن يجف مداده ، وهو القلم السيال فى ميدان السياسة والادب فكانت الصحف اليومية تمتلىء من مقالاته الممتعة وبياناته العديدة وآرائه السديدة . وتولى زمناً رئاسة تحرير « المؤيد » لشهرته فى العالم الاسلامى . واذا عددنا الكتاب البارزين فى حلبة الصحافة كان أبوشادى فى مقدمتهم ، و لاغرو فقد عنى بالكتابة منذ الثانية عشرة من عمره ، واشتهر منذ طفولته بالذكاء المفرط وحدة الذهن وسرعة الخاطر ، وهى صفات يتحلى بها النابغون ويفخر بها الكتاب والمحررون . والمعروف عنه أنه كان يملى ما تجود به قريحته من الآراء السديدة والمقالات الممتعة وكان معتاداً أن لايراجعها .

كسياسى

اشتهر الفقيد منذ صباه بالنزوع الى الحرية وبالرغبة فى خدمة قومه على اسمى

المبادىء الوطنية : فقد اتصل الفقيد بالمرحوم مصطفى باشا كامل مؤسس الحركة القومية ووقف دائماً بجانبه . وكم كانت له جولات فى السياسة ووقفات فى الحركة الوطنية . وتاريخه فى السنوات الأخيرة حافل بأسمى ما يمكن ان يتصف به وطنى مخلص لقومه وبلاده فقد كان عاملا للامة تحت لواء وفدها الأمين وسعدها العظيم فكان عاملاً من أكبر عمالها ، وخطيباً مفوها فى طليعة خطبائها ، ورجلا مقداماً بكل معانى الكلمة . أثار فى النفوس الحمية الوطنية بكل معانيها ، فكان خطيب الأزهر المصقع ، وخطيب الجماهير فى الشوارع ، وخطيب المنتديات أجمع ، وخطيب المحامين المبدع ، وخطيب الجوامع والكنائس المقنع . فكان له فى كل ناد أثر ظاهر ، وفى كل مكان ذكرى لا تمحى . وقد عُدَّ بحق من اقطاب الخطباء خصوصاً فى أسلوبه المعروف الذى وصفه الزعيم الجليل سعد باشا زغلول مرة مداعباً : « هذا على مذهب أستاذنا أبو شادى بك » ، وكان قلمه السيال مثيراً للهمم ، محركاً للنفوس .

وبقدر ما كان له من هذا النشاط البارز وهمة الشباب القعساء وهو يعانى أشد الآلام وبمضى أتعس الأيام كان محل غضب الساطة عليه . وإن ننس لا ننس أيام رفح البغيضة — وقد يكون فضيلة الأستاذ القاياتى أعرف الناس بما عانوه فيها — ولا السجون والمعتقلات التى امتلأت بالكرام من المجاهدين الوطنيين . فكان هو هو أبو شادى لم يلحقه ضعف ولم تعتور نفسه العالية فتور فى الهمة ، فما يئست نفسه ولا خانته قواه والاضطهاد يضعف من جسمه . ويهد ركناً من العزائم القوية والنفوس الكبيرة .

وكم رأس من اجتماعات وحضر من حفلات وتصدر جمعيات سياسية تدافع عن حقوق البلاد .

كان عضواً باللجنة العليا للفقراء ابان اشتداد الحركة الوطنية ، كما كان رئيساً « لجمعية الدفاع عن الحرية السياسية » واشتهر بالدعوة الى المقاطعة . كتب عنه (البلاغ) يقول : « ليس فى الشعب من يجهل الرجل الشعبي محمد بك أبو شادى ولا يعرف أن حياته الطويلة سلسلة متصلة جميع حلقاتها مفاخر وشهادات ناطقة على حبه للشعب وحرصه على هنائه وسعادته وسعيه الحثيث لتحقيق استقلاله » .

وقالت عنه (السياسة) : « راحت مع آخر نفس لفظه شخصية برزت بين الشخصيات

المصرية فى نصف القرن الأخير ، ومن من مصرى هذا النصف يجهل أباشادى بك . ومن منهم لم يسمع عنه إن لم يكن رآه رؤية ؟ كان أبو شادى محامياً فكان نقيباً . وكان محدثا فكان ظريفاً . وكان راوية فكان خفيفاً . وكانت صفاته هذه كلها تتجلى فيه وهو يعمل سياسياً ، كاتباً أو خطيباً »

كشاعر

ولست متطفلا فى التحدث عنه كشاعر فأمامكم أشعر الشعراء وأبلغ البلغاء يلقون الدر فى رثائه وينظمون اللؤلؤ الأدبى فى تأبينه .

كنائب

وقد انتخب والمرض ينتابه ـ اعترافاً بجميله ـ نائباً عن الخليفة ، وسيوفى أحد الخطباء كلامه عنه . ولو لم تكن للفقيد من صفة سوى علم التضحية الذى رفع منارته عالياً لكفى مثالا يحتذى به وفضيلة يتخذها الناس طريقاً سلياً لخدمة الأوطان.

كان مثال التضحية فى ماله فما رد طالباً ولو كان هو فى أشد حالات الضيق وكان ينفق عن سعة فى سبيل الاحسان ومساعدة العائلات التى أخنى عليها الدهر .

وكان علم التضحية لوطنه فما طلب لخدمة الا وتقدم اليها غير هياب ولا وجل . وأذكر من مثال التضحية التى فاق فيها أقرانه انه طلب فى أيام الانتخابات الأولى للخطابة صباحاً فى منيا القمح ومساء بالوسطى . فأبت نفسه الكريمة إلا تلبية الطلبين غير منتظر جزاء ولا شكوراً . فقام بالسيارة مبكراً يومها الى منيا القمح وانتهى من الخطابة فيها وعاد بالسيارة الى مصر فالواسطى مباشرة ومنها الى السويس مباشرة للخطابة فى اليوم التالى! فمن كان غير أبى شادى بك ليتقدم بهذا المجهود الشاق الذى يحتاج لقوة نفسية عظيمة كنفسيته؟! هذا مثل من الأمثلة الكثيرة التى تدل على أن الفقيد كان ينسى نفسه فى سبيل خدمة اخوانه ووطنه .

وقد كان رحمه الله حلو الحديث شهيه طريف الفكاهات سمح الأخلاق . اتصل بالناس اتصالا تاماً فكان لهم بمثابة الأب الرءوف ، والأخ العامل ، وقد مات فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً الا تلك الذكرى الدائمة للهمة العالية ، والنشاط الكبير والتفانى فى خدمة الوطن العزيز .

فلتكن ذكراه خير عظة للنفوس ليسترشد الناس بها فيأتمون بعمله وينسجون على منواله .

أبو شادى كمحام

كلمة الأستاذ كامل صدقى بك

(بالنيابة عن نقابة المحامين المصرية)

أبوشادى كمحام :

لم يكن المرحوم فقيدنا الأستاذ محمد أبو شادى بك محامياً فقط بل كان صحفياً وسياسياً وكاتباً وشاعراً .

وليس من الغريب أن يشتغل بهذه الفروع المتعددة جميعها بل الغريب هو أن يكون نابغة فيها كلها : فكان محامياً فذاً ، وخطيباً بليغاً ، وصحفياً موفقاً ، وسياسياً متبصراً ، وكاتباً نحريراً ، وشاعراً متفوقاً .

اشتغل بالمحاماة مايزيد عن الأربعين سنة وقد لازمها من أول عهدها فى سنة ١٨٨٥ م . الى أن ارتحل للدار الباقية ، متنقلا بين طنطا وأسيوط حتى استقر به القرار بالقاهرة .

وقد دخل ميدان المحاماة بغير العدة التى يدخلى بها المحامون الآن من شهادات عالية ودراسات طويلة ، ولكنه ما اشتغل بها سنوات قليلة الا وطبقت شهرته الآفاق وانتشر صيته فى جميع الأنحاء وفاق الاقران من أصحاب الشهادات والدراسات وتركهم خلفه بمراحل ، وما ذلك الا لذكائه ونبوغه وحدة ذهنه وسلامة ذوقه وسرعة خاطره وانتفاعه بتجاربه .

وكم تمرن فى مكتبه من متخرجى الحقوق وحاملى الشهادات العالية فاستفادوا من بحره الزاخر وعلمه الغزير مما أوصل كلا منهم الى الذروة العليا للوظائف القضائية والادارية وصاروا أعلاماً فيها يُشار اليهم بالبنان وهم لايفترون عن الاعتراف بجميله وماثره عليهم .

كان اذا ترافع الخطيبَ المفوه والمحامى الضليعَ بالقانون والمنطقىَّ الذى لايبارى ، فكانت نظرياته تتلاقى مع آراء كبار شراح القانون ومفسريه ، ناهيك باستيلائه على ألباب سامعيه وعقولهم فلا يملون حديثه الطلى ومرافعاته الشائقة الممزوج فيها

الجـد بالفكاهة البعيدة عن الابتذال والمنطبقة على مقتضى الحال ومناسباته حتى كان من يسمعها يتمنى ألا تنتهى .

وفى المدة الطويلة التى اشتغلت بالمحاماة فيها وهى تزيد على العشرين سنة مارأيت قاضياً ملَّ سماع أبى شادى أوضاق صدره عن مرافعاته ، بل كان القضاة يتمنون أن يحظوا بمرافعاته أمامهم فاذا ترافع يوماً كانت أقواله موضع اعجابهم . ومن ملحه أنه كان يترافع مرة فى قضية هامة أمام محكمة مصر وكانت مصلحة موكله تقتضى حتماً الطعن على موظف لأنه مال مع الهوى ضد هذا الموكل لغاية مالية نالها من خصمه ، وكان يتقصى فقيدنا دليل هـذه الغاية ورأى فى التصريح بذلك احراجاً لموكله ومسئولية تعود عليـه فاستمر فى مرافعته إلى أن وصـل الى نقطة التصريح بهذا الطعن فقال :

والسبب فى تحدى هـذا الموظف لموكلى أنه . . . . . (ثم هرش المرحوم أبو شادى بك فى رأسه وسكت طويلا) ولما طلبت منه المحكمة الاستمرار فى المرافعة قال : (أرجو كاتب الجلسة أن يثبت فى محضره أن أبا شادى عند ماوصل الى هذه النقطة أحجم عن التصريح وهرش فى رأسه بيده هكذا ! . . . .)

فكانت اشارته أبلغ من التصريح ، وأوصل بهذه المهارة الفنية غرضه الى ذهن المحكمة لتتنبه الى الأمر عند بحث القضية !

سافر المرحوم الفقيد يوماً ليترافع فى قضية بمحكمة طنطا وكان يرافقه أحـد زملائه ليباشر قضية أخرى . وكان هـذا الزميل غير مستعد للمرافعة ولم يقدم مستنداته للمحكمة فطلب تأجيل نظر قضيته للاستعداد وتحضيرها ولـكن عارض فى ذلك خصمه وترتب على ذلك أن حجزت المحكمة القضية للمرافعة .

وجد أبو شادى بك حرج مركز زميله وعدم امكانه القيام بواجبه لأن قضيته غير صالحة للمرافعة وان فى ذلك ضياعاً لحق مقدس ، فماذا فعل ؟

طلب قضيته وأخذ يترافع فيها طويلا بأسلوبه البديع وعباراته الجميلة بتفصيل وافٍ وبيان جـلىٍّ والمحكمة فى ارتياح لسماعه لاتريد الا المزيد ، واستمر فى ذلك حتى استغرق كل وقت المحكمة ، فاضطرت الى تأجيل باقى القضايا ومنها قضية زميله التى رفضت تأجيلها أولا لضيق الوقت ، وبهذه الوسيلة انتصر للعدالة وأخرج

زميله من المأزق الذى كان فيه بأن مكنه من فرصة الاستعداد فى قضيته بتأجيلها ! أما القضايا الهامة التى ترافع فيها فهى لا تعد ولا تحصى ، فقد رفع عن المحامين فرض الكفاية فى دفاعه عن متهمى دنشواى وبذل فى سبيل ذلك وقته وراحته ابتغاء وجه الله الكريم ، كذلك كانت له المواقف المشرفة فى كل القضايا الوطنية الكبرى وماسمع أبو شادى بمظلوم أو مهضوم حق الا واندفع كالسيل فى النصرة له .

ولم يكن مكتبه مقصداً لموكليه فى قضاياهم فقط بل كان كعبة يحج اليها زملاؤه للاسترشاد بصائب رأيه ونور ذهنه الوقاد . كان علماً خفاقاً وركناً متيناً للمحاماة ومعلماً مرشداً للمحامين فى المشكلات الفنية ومعضلات الأمور . وكان الفقيد واسع الصدر يضحى بوقته فى سبيل اخوانه ولو أدى ذلك الى سهره الليالى فى البحث والتنقيب معهم .

علاقته بالقضاء :

كان مثالا عالياً لمكارم الأخلاق والشمم والشهامة فكان يقوم بواجبه نحو القضاء من الاحترام ويحافظ فى الوقت نفسه على كرامته وحقوقه . فكان لايقصر فى الأول ولايفرط فى الثانى .

وبمثل هذه الاخلاق ارتفعت المحاماة الى أن وصلت الى ما هى عليه الآن .

خدمته لمهنته :

سعى سعياً متواصلاً مع أمثاله من أقطاب المحاماة فى اصدار قانون انشاء نقابة المحامين المصرية وجاهد فى هذا السبيل السنين الطوال الى أن أسعدت الفرصة المحاماة فى سنة ١٩١٢ بأن تولى حضرة صاحب الدولة سعد باشا زغلول الزعيم الجليل وزارة الحقانية فحقق هذه الآمال التى صبت لها النفوس من زمن بعيد واستصدر القانون المشار اليه .

انتخب الفقيد عضواً فى أول مجلس للنقابة فى سنة ١٩١٢ وأعيد انتخابه بعد ذلك فاستمر ست سنوات الى آخر سنة ١٩١٧ .

وفى سنة ١٩١٨ ألح على اخوانه أن يعفوه من انتخابه فى هذه السنة فأجابوه لطلبه وهى السنة الوحيدة التى لم يكن فيها عضواً لمجلس النقابة من عهد تأسيس النقابة الى يوم وفاته .

وانتخب فى سنة ١٩١٩ وما يليها الى سنة ١٩٢٥ عضواً بالمجلس المذكور وانتخب وكيلا للنقابة دفعتين .

وفى أوائل سنة ١٩٢٤ لما تألفت وزارة الشعب ودخل فيها حضرة صاحب المعالى مرقس حنا باشا نقيب المحامين وقتئذ كان الفقيد وكيلا للنقابة وبحكم القانون كان من حقه أن يحل محل النقيب ويقوم مقامه ، ولكن نفسه الأبيه لم تقبل أن يكون على رأس النقابة بحكم القانون فألحّ فى جمع الجمعية العمومية لانتخاب نقيب وفعلاً اجتمعت وقررت انتخابه نقيباً باجماع الآراء .

وكان أبو شادى بك فى مجلس النقابة المرشد الأمين لاخوانه والحكم المنصف فى مشكلاتهم فكان فيما يُطرَح عليه من المنازعات عادلا بدون محاباة أو مجافاة ، وكم مضى الليالى ساهراً للتوفيق بين المختلفين وفى حفظ كرامة المحاماة ضد كل اعتداء .

أضف الى ذلك انه كان مخلصاً لاخوانه ، صادقاً فى معاملته ، لين المعاملة ، أنيس العشرة يجاملهم فى مسراتهم ويواسيهم فى شدائدهم .

كرمه الحاتمى :

سمعت من حضرات الخطباء السابقين أن المرحوم أبا شادى بك كان فقيراً ، وأعتقد انهم مخطئون فى هذا القول فقد خرج من الدنيا وترك ميراثاً أدبياً لايفنى وذكرى عاطرة لايذهب الزمان بعبيرها . نعم انه لم يترك شيئاً من عروض الدنيا الفانية وهذه من الغرائب أيضاً فى تاريخه ، إذ اشتغل أبو شادى بك بالمحاماة من أول نشأتها فى سنة ١٨٨٥ م . ومرّ به عصر المحاماة الذهبى الذى كان يفيض النضار على المحامين بغير حساب .

ولكن أبا شادى كان كريماً لايحسب للمال حساباً فكان يكسب الكثير منه ولكن كرمه الحاتمى كان لايبقى عليه .

ولو كان أراد أبوشادى بك أنه يكون غنياً وغلّ يده عن الانفاق لكان من أكبر الموسرين .

اشتغل الفقيد بالحركة الوطنية من أول فجرها الى أن توفاه الله ، وكان من رجالات الزعيم الجليل سعد باشا زغلول الذين يشار اليهم بالبنان متمسكاً بمبادئه رافعا لواءه ، وما تقهقر يوماً فى واجبه الوطنى مهما كان الخطر الذى يواجهه من نفى أو اعتقال بل كان يخرج من المحنة اشد تمسكاً بمبدئه كالذهب الذى تزيده النار صفاء وبهاء ،

وكان يظهر فى أيام المحن والليالى السوداء ليحى الآمال فى النفوس ويثبت العقائد الوطنية على أسس وطيدة .

كان اذا دعى الداعى الوطنى لباه بنشاط وحماسة الشبان وحكمة الشيوخ ، وكم لاقى من المتاعب فى هذا السبيل من سعى واعتقال وتهديد ووعيد . كان صوته وقلمه فى المواقف الوطنيـة يزعزعان الجبال الراسيات ، وكان أصحاب النفوذ والسطوة يخطبون وده فما استهوته فى يوم من الايام عروض الدنيا الزائلة فعاش شريفاً ولاقى ربه شريفاً طاهر الذيل .

وقرارات نقابة المحامين التى اقترحها أو اشـترك فيها انتصاراً وتأييـداً للقضية المصرية أشهر من نار على علم فقد كان من اخوانه القائد المقدام الذى لا يخيفه وعيد ولا مشقة .

كان ينشر المبادىء السياسية الحقة فى كل آونة ومناسبة . ولما فتح باب الجهاد فى الانتخابات فى سنة ١٩٢٤ للبرلمان كان لسان الوفد الناطق ورسوله الأمين لا يرفض لمرشح من مرشحى الوفد طلباً فى معاونته بخطابته البليغة ومواقفه المشهودة حتى أنه فى يوم من الايام خطب خطبـة انتخابية فى مديرية الشرقية صباحاً وخطب مثلها فى بنى سويف فى اليوم نفسه مساء وقد انتقل من الجهة الاولى للثانية بالسيارة الساعات الطويلة ! وقد ذهب الفقيد ضحية شهامته وجهاده فى الحركة الوطنية ، فأهمل فى سبيلها العناية بصحته بما عجل بالقضاء عليـه فى وقت نحن فى حاجة الى مثـل مجهوداته . عوض الله المحاماة والامة والوطن عنه خيراً .

ابو شادى السياسى النائب

خطبة الاستاذ أحمد فهمى أبى الخير

انى فى حفل كهذا الحفل ، وموقف كالذى أنا فيه ، أخطبكم وأنا أرجف . أرجو ان لاتخطئوا فهم قصدى . انى أرجف حقيقة . ولكن لا من خوف اخفاق فى احراز استحسانكم ، إذ ما الذى أنا صانعه وأنا أخطب اللاحقين بالسابقين ، وأطأ بقدمى أديماً من رفات الموتى ؟ ولا من خوف اخفاق فى تصوير ذلك الراحل الكريم الذى هو اليوم موضوع مدحى ورثائى ، فهو ليس بحاجة الى التمدح والتبجيل . لقد انتهى عمله فى هذه الحياة الدنيا ، وإن يكن قد بقى فيها أثرة ، وقد باعد الموت ما بينى ، وأنا حى أرزق ، وبينه وهو جثة هامدة .

انكم تسائلون أنفسكم : لماذا إذن أنا أرجف ؟ انما أرجف لاعتقادى انى سأعدو حدّ التقاليد المرعية فى أمثال هذه المواقف . نعم سأشق عصا الطاعة وأنتهج فى كلامى نهجاً آخر ، وأسأل الله أن ييسر لى فى هذا السبيل أمرى .

أيها السادة :

انى لا أريد أن أحدثكم بشمائل ذلك السياسى البارع صاحب العقل الراجح والمبدأ القويم ، ولا أريد أن أحدثكم بالمدره الذى كان يوماً فخر المحاماة وموضع إعجاب القضاة ، الشاعر الناثر ، السريع البديهة ، القوى الحجة ، الغزير العلم ، الخطيب الذرب اللسان ، المتين البيان . ولا أريد أن أحدثكم بالوطنى الصميم ذى المبدأ الثابت ، الواقف من نهضتنا بين مختلف التقلبات السياسية وبين مدّ الاحزاب وجزرها كالصخرة العالية تتقاذف الامواج عليها وهى ثابتة لاتؤثر فيها الزوابع التى تثير ماء ذلك الخضم العميق ، ولا أريد أن أحدثكم بالصديق الذى لم يعرف الغدر ، وصاحب الصدر الشفاف العميق الذى يشمل فى قرارة قلبه كل فضيلة رقيقة صافية ، وبالكريم الذى يجود بنفسه وبكل ما ملكت يداه . لا أريد أن أحدثكم بشىء من هذا ، وانما أريد أن أذكر لكم حادثاً حدث له وهو فى مرضه الاخير أيام الانتخابات الثانية .

لقد خضتَ معه معركة الانتخابات الاولى مؤيداً له فى نيابته عن دائرة الخليفة فوجدت فيه وهو الشيخ الفانى عزم الشباب القوى . وكنت أترسم فى دعوتى له خطاه فى نشر الدعوة لرجال حزبه . ولقد كلل الله المسعى بالنجاح وفاز أبوشادى بالنيابة بأغلبية ساحقة . ثم جاءت الانتخابات الثانية بظروفها المعروفة ، وكان المرض قد أقعده ، وفى خلالها حدث ما أريد انباءكم به : —

طلب اليه أحد كبار خصومه السياسيين الذين كانوا يومئذ يشغلون الوظائف الخطيرة أن يسمح له بأن يعوده فأبى معتذراً بأنه كان يقبل عيادته لو أنه لا يشغل هذا المنصب . وفى ذلك الوقت كان يترامى الوصوليون على الاقدام ، ويرون فى مثل هذه الزيارة شرفاً لا يعدله شرف ، وبالطبع لم يكن مقصد هذا الكبير الا مساومة أبى شادى تنفيذاً للخطة المفهومة . فلما أخفق سعيه لجأ الى باب آخر يريد الوصول اليه منه . أرسل اليه من يحمل ألفاً من الجنيهات ويقول له : « اليكها لانريد لها منك مقابلا ! اعتبرها عارية تستردّ أو اعتبرها ما شئت » . فتأبى واستكبر أن يدنس يمينه بمال يعتقد أنه رشوة تقدم فى سبيل تغيير المبدأ ، أو على الاقل التنحى عن الترشيح للنيابة .

واخالكم لم تنسوا بعد كيف كانت المبادىء والذمم تشرى وتباع فى ذلك الزمن ، وكيف كانت تفسد الاخلاق بوسائل الوعد والوعيد ! وجلس الىّ يحدثنى ذات يوم بذلك وقد عدتُه فى داره مستفسراً عن صحته فقلت له مداعباً : « ولمَ لم تتسلم هذا المال وتصرفه فى سبيل نشر الدعوة لك وتسلك السبيل الذى يسلكه غيرك ؟ » فأجابنى فى وداعة وبشاشة :

« اننى لاخزى من نفسى يا بنىَّ أن أمد يدى إلى دنس ، والله لأصقن بزعيمى ولأستمسكن بمبدئى وحزبى ولو كنت فى ذلك لا أجد ما أتبلغ به »

وأنشد يقول :

كيف يرجون سقاطى بعد ما جللَ الرأسَ مشيبٌ وصلعْ ؟!

ثم قال يخاطبنى :

« أتدرى ما الذى بعدئذ صنعت ؟ اننى قمت من فورى أخمع فى مشيتى قاصداً بيت الزعيم فقبلت يده وقلت له : لو أن كل صحبك انفضوا من حولك فانى تابعك

أدفع عن مبدئى ومبدئك حتى أسقط فى الميدان سقطة الشجاع الصنديد ، ومحال أن أفرّ منه وأنا مريض فرار الجبان الرعديد » .

فلم يكن منى أيها السادة الا أن طأطأت رأسى أمام عظمة هذا الخلق المتين ، وقلت فى نفسى : يا له من درس فى الاخلاق لعديمى الاخلاق ! وأقبلت على يده ألثمها . ولقد برّ الرجل بوعده وكان فى نيابته الثانية عند ظن ناخبيه فيه .

أيها السادة :

ذكرتُ بعد ذلك قوماً كثيرين ومنهم من مهنتهم تهذيب النشء ، ومن لهم فى ذلك تواليف ، ومن لهم أيضاً أخلاق . ذكرتهم وهم يدورون مع الزمن حيث دار ، ويسيرون مع المنافع والاهواء ، ويستميتون فى الزلفى رجاء الحصول على منصب زائل ومتاع فان ، وهم مع ذلك سراة مرفهون بسط الله لهم فى الرزق فما هم فى حاجة للزلفى ، وما هم فى حاجة الى منصب ، ولكن كسدت فيهم الاخلاق ، لايثبتون على حال واحدة

كأبى براقش كل يوْ م لونه يتخيــلُ

فكان من أمرهم ما كان !

أيها السادة — انما نحن وقوف على شاطىء بحر يبتلع كل ما هو حى . وهنالك بين ذلك الهشيم الجامع الشامل لا شىء ثابت وطيد ولا شىء مدعم ولا شىء خالد يعتضد به المحتضر الذاهب الفانى . سلوا البطل ، سلوا السياسى الحكيم الذى اعتدتم احترام رأيه والانصياع له وهو يحدثكم بذلك . لا ، بل انه حدثكم به وهو على فراش موته ، ولا تزال روحه تهمس به من عليين بتلك الفصاحة التى أنتم أدرى بها ، تدلى اليكم بتلك النصيحة الغالية وتقول :

«أيها الناس ! أيها الأحياء الفانون المسرعون بعدى الى الراحة الأبدية ! الى راحة القبر والذين كنتم رفاقى فى حجتى الدنيوية ! أيها الصحب الكرام ! حذار من غرور الدنيا وخدع السياسة ! حذار من الفانية فالباقية خير وأولى ! أيها الصحب ! ازرعوا الفضائل وتعهدوها بالرى والسقيا ، وليكن لكم رب واحد وزعيم واحد ، ووطن واحد ، وعقيدة واحدة ! أيها الصحب ! لتكن حياتكم لبلادكم

لا لأنفسكم ، لتكن حياتكم للخلود والبقاء لا للذهاب والفناء ، وليكن مماتكم فى سبيل الله وفى مجد الوطن ! »

ذاك ما أظن فقيدنا يحدثكم به ، وما يحدثكم الا بالحق . كل شىء عدا ذلك آبق ، وكل شىء متغير ، وكل شىء بعد ذلك نازح عنكم . ولكن شيئاً واحداً لن ينزح عنكم — هو حصن الآمال الوطنية فقراره صلب متين ، وبناؤه مشرب بدماء الضحايا ، فبهذا الحصن تعصف العاصفة ، وحوله تثور الرياح . ولكنها قوى ضائعة عبثاً ، وجهود مبذولة فى غير فائدة ؛ اذ الحصن ثابت مكين ، لانه خالد فى طبيعته لايقبل التحوير ولا التبديل . فاليه إذهبوا ياسجناء هذه الآمال ، ويا أسرى تلك المبادىء ، واليه حجوا وبأركانه طوفوا ، وهناك ادعوا ربكم أن يطهر النفوس النجسة ، ويبرىء القلوب المريضة . وهناك فى خشية وخشوع استمطروا الرحمة على الطاهر النفس البرىء القلب ، على فقيد الامة أبى شادى .

عبقرية أبى شادى بك

وتقدير النبوغ فى مصر

خطبة الاستاذ محمد لطفى جمعة

سيداتى . حضرة صاحب الدولة . حضرات أصحاب المعالى . سادتى الافاضل .

ان الصنعة التى شرفنى الله بها تحكم علينا كثيراً من الاحيان بالارتجال . حقيقة اننا نعد قضايانا ، ولكن القضايا كالحياة مملوءة بالمفاجآت ، فيضطر المحامى الى أن يسد ثغرة المواقف الحرجة ويرد على نقط تعرض له ، فيتعلم حضور البديهة ، فكنت دائماً أفكر فى أن أحضر خطاباً لرثاء فقيدنا الكبير أضمنه مآثره وصفاته النبيلة ، ولكننى لم أفعل ولم أندم ، لأن شخصية المرحوم هى ثروة عظيمة يمكن لكل انسان أن يغترف منها ويتكلم فيها ولو بدون استعداد . وهذا الاجتماع نفسه فيه معان جميلة تجعل الخطيب يغترف منها أشياء كثيرة .

فها كم رجال عظماء قد اجتمعوا لتأبين رجل عظيم رحل ، وهذا دليل على أن الأعمال الطيبة دائماً تبعث على تذكر صاحبها ، فيعمل كل انسان وهو واثق أن عمله لن يزول ولو بكلمة تذكر عنه فى مستقبل الأيام ، وما الانسان سوى الذكرى .

لقد كانت شخصية فقيدنا العظيم وعبقريته النادرة كثيرة النواحى ، وقد كانت مواهبه متعددة . كان محامياً ، وكان مفكراً وكاتباً سياسياً ، وكان رجل عمل ، وكان رجل مبدأ فقد تفانى فى خدمة « الوفد » . وكان صحافياً ماهراً ، وكان شاعراً ، وكان رجل علم وفقه وتصوف ، وكان كريماً يعمل لصنع الخير ، وما الناس الا بالخير .

لهذا سأجعل كلامى مقصوراً على ما علمته عن أبى شادى بك بنفسى فى جملة مواقف تدل على صفاته الطيبة .

فى سنة ١٩٠٤ حضر الى مصر رجل بلجيكى اسمه (دى جورفيل) وأخذ فى مخاطبة العظماء وخاطب الشيخ محمد عبده وأفضى اليه المرحوم بمعلومات مهمة كان لها شأن فى حينها ، وهذا الحديث عند نشره بعد وفاة المرحوم الشيخ محمد عبده أزال ظنون كثيرين عن المرحوم ، وجعل الناس تظن انه كان يعرف كل شىء ويتألم ، ولكنه كان كاظماً غيظه وعند الفرصة المناسبة تكلم . وهذا الرجل — جورفيل —

تكلم مع احدى الاميرات فقالت له عبارة عن الشبيبة المصرية كانت جارحة مؤلمة فلم يحرك فى ذلك الوقت أحد ساكناً الا المرحوم أبو شادى بك فى جريدة (الظاهر) ودافع عن شباب مصر ، واضطرت تلك الأميرة العظيمة أن تعتذر ، وسلكت بعد ذلك فى الوطنية مسلكاً مشرفاً وكانت لها آثار ظاهرة .

وعند ما فُتحت (بورسودان) كان الفقيد الجليل هو الصحافى الوحيد الذى كلل جريدته بالسواد حزناً على هذا الحادث التاريخى الذى اعتبره بمثابة فصل السودان عن مصر .

وعند ماحدثت كارثة (دنشواى) العظيمة كان أول المهتمين بها والمشايعين للأمة المصرية وتطوع تطوعه المأثور للدفاع فيها .

وكان لا يسكت عن ابداء رأيه الناضج واعلان نظره البعيد فى شؤون وطنه فى كل موقف هام بل فى شتى الشؤون ، فكان قوة ارشاد عظيمة ومستمد الوحى والتشجيع فى مشاكل وأزمات . وانه لمن العجيب جمعه بين الصحافة والمحاماة . قد يكون تحت ثوب كل محام صحافى كامل ، ولكن أبو شادى بك كان محامياً ظاهراً وصحافياً ظاهراً .

وفى فترة السكون النسبى الذى ساد مصر من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨ كان أبو شادى بك لا يسكت ولا يخلد الى السكون ، فكان يكتب فى الجرائد مقالات عديدة فى السياسة والاجتماع وكان يتلقفها الجمهور بشغف عظيم ، لان الجمهور عرف فضله وإخلاصه ومقدرته ، فأحبه و بقى على هذا الولاء له الى النهاية وسيبقى مجلا لذكراه .

وفى سنة ١٩١٩ وما بعدها كان كأنه أعجوبة ، فقد كان يشبه «الحركة الدائمة» ! كان دائماً يستشار وكان دائماً يعطى فكره بشجاعته وصراحته المعروفة ، وكان يحل بعض المعضلات ، وكان يساعد بوقته وماله وعقله فى المسائل التى كانت شاغلة للافكار ، وقد مات من جراء سعيه المرهق لنفسه وتفانيه فى الخدمة الوطنية .

كان لايعرف لغة من اللغات الأجنبية ، ولم يطلع على لطائف الفرنسوى ، ولم يضعف الى علمه شيئاً مما جاء فى الكتب والجرائد الافرنجية ، ولم يقصد مسرحاً افرنجياً ، ومع ذلك فقد كان عنده معين لا ينضب من الفصاحة الخلابة والأدب الغض والعبارات المؤثرة اللطيفة والمعلومات الواسعة المقتبسة من شتى المعربات

وكانت مرافعاته تسر القاضى والخصم والموكل والجمهور ، وان بعض موكليه كان يسر لو خسر قضيته على يديه من أن يكسبها على يد سواه !

ما كان يتراخى عن الحضور فى جلساته ، وكان يرضى الجميع ، مع اعطاء زكاة كثيرة عن علمه بالعمل فى القضايا . كان اذا بدأ يتكلم يبتسم كل الناس سروراً للابتكار واللطف والشخصية الجذابة التى لا تكتسب بالتعليم ولا بالدروس ، ولكنها موهبة طبيعية . وكان كثير الملح والنكات الأدبية فيزيل الانقباض من وجه العدالة العابس .

لم يكن فيه كبرياء ولا عنجهية ، وكان يخالط الشبان ويحبونه ، لأن روحه كانت فتية ثائرة ، وقلبه شاباً أخضر ، وكأن مثله لا يشيب ولا يزول شبابه !

لقد دل على انه مات على حق ، وهو خدمة المبدأ الذى أقرته البلاد ولم يمل مع الهوى ، فقضى ضحية الواجب ومثال الوفاء الاكمل ، وعاش ومات مضرب الامثال فى النفس واستقلال الرأى وبعد النظر والشجاعة الأدبية الفائقة ، لا يثنيه وعدٌ مهما عظم ، ولا يرهبه وعيد مهما جلّ .

وكان الفقيد العظيم متخرجاً من الأزهر — تلك الجامعة الكبرى التى أخرجت كثيرين من عظمائنا ، والتى هى كنز لفحول الرجال ، ولم يظهر رجل عظيم فى مصر الا وكان له بالازهر اتصال قريب أو بعيد ، وفى اعتقادى أن مواهب الازهريين لو نظمت تنظيماً صادقاً لكانت فتحاً مبيناً .

كان باراً بولده ، ورباه أحسن تربية ، وغرس فيه حب الأدب ، فجعله شاعراً وكاتباً ، كما جعله طبيباً وصحفياً نابهاً .

انه لم ينشر لنا كتاباً من تأليفه ، وقد ضاعت مذكراته الخاصة ، وكثيرون من الناس يشتهرون بالكتب ، ولكننى أرى ان الشخصية البارزة المكونة والعبقرية الممتازة والاخلاق السامية والمبادىء الرشيدة هى قدوة حسنة ، فان سقراط لم يؤلف كتاباً ، وان السيد جمال الدين الافغانى (وقد كان الفقيه من مريديه) لم يؤلف كتاباً ، ولكن هذا لم يقلل من قدر أحدهما ، بل كان أدعى لحفظ آثارهما ، وتناقل أخبارهما ، ومع ذلك فالمحامى يؤلف أثناء حياته كتاباً كثير المجلدات من مذكراته ودفاعه الشفوى ، والصحافى له مقالاته ، والشاعر له ديوانه ، وكان أبو شادى بك يكتب فى صحيفة الدهر . . .

كان الفقيد عظيم الاعتداد بمصريته وعربيته الصميمة وهذه محققة ، وقد كانت سيرته مثال الشهامة العربية ، ومثال الوفاء الخالد لمصره العزيزة ، وكان يحدثني أن أصله البعيد منذ أجيال ينتهي الى عرب الاندلس الذين استوطنوا مديرية الغربية بعد ارتدادهم وبعد زوال الدولة الاندلسية . وكانت له طريقة لطيفة في هذا الحديث معي . فانه ذات يوم أخبرني « انه تم الاحتفال بتتويج الملك بتاعنا » . . فلما أظهرت استغرابي قال انه يقصد الفونس الثالث عشر الذي هو ملك اسبانيا وملك الاندلس ، وقال لي ان اسمه العربي هو الفونش ! وحقاً كانت في صفات المرحوم دلائل على عربيته وعربيته الاندلسية ، فضلا عن مصريته ، فقد كان بقدر شهامته وعلو همته رقيقاً طروباً ، فخوراً في اعتدال ، مقداماً . ولو عاش في زمن العز الاندلسي الصحيح لكان وزيراً من الوزراء الشعراء أهل الحنكة والرقة والظرف ، الذين يجمعون بين جد العمل الدولي وبين رشاقة الحياة اللينة الرغدة — أولئك الذين يحفل بهم كتاب (غصن الطيب في تاريخ الاندلس الرطيب) .

سيداتي وسادتي :

قلت لكم إن أبا شادي كان صحفياً بمعنى الكلمة أي ليس هاوياً ، وأدلني على ذلك ، غير مشاهداتي الشخصية الطويلة وعرفاني لمجهوداته وآثاره القيمة :

١ — انه اهتم قبل سواه بمسألة (بورت سودان) .

٢ — انه تعرض دون سواه للرد على سيدة عظيمة مصرية وصفت الشبان المصريين بما لا يليق حتى ألزمها الحجة .

٣ — انه أول من نبه الأمة الى الخطر من ارتفاع أثمان الاراضي بمناسبة حصول شركة مصر الجديدة على أراضي واسعة بأثمان زهيدة وبيعها بالغالي .

٤ — انه اهتم بحادثة دنشواي المنكودة الطالع اهتماماً عظيماً .

٥ — انه رسم خطة عملية لامتلاك السودان فعلا باستثماره ، ورفع صوته عالياً في الوقت المناسب لسراتنا واغنيائنا ، وإن كان لم ينجح في تحريكهم ، ولكنه كان صادق الرأي ، بعيد النظر ، عظيم الوطنية ، كما دلت الحوادث والازمات التالية .

٦ — انه ابتدع بذهنه الصحفي المطبوع سلسلة مقالات اصلاحية بعنوان « آه لو كنت أميراً » ، ومن المدهش أنه في ذلك الوقت كانت تمثل رواية في انجلترا عنوانها (لو كنت ملكاً) وقد قلده كثيرون من الكتاب في هذا الاسلوب النقدي

البديع . وقد كانت له آيات أخرى كثيرة فى التفنن الصحفى تشهد بحسن ذوقه وعظيم مواهبه الأدبية .

ان هذا الرجل كان مخلصاً وفياً لسعد زغلول ، ولم يكن هذا الاخلاص والوفاء لشخص زغلول وان كان رفيق صباه — وانما كان لان زغلول هو مظهر الوطن المصرى فى وقته . فالناظر اليه أو السامع لحديثه انما يرى (مصر) الجميلة المجيدة بنيلها وخصبها واعتدال جوها وعراقة تاريخها ، ولاجل هذا أطلقوا على (سعد زغلول) « رمز الامانى القومية » ولكنه فى الحقيقة مظهر الجلال الوطنى ورمز الامانى . ليس (زغلول) علماً يلتف الابطال حوله بل هو قلب (مصر) الخافق وعقلها المدرك ، وبصيرتها التى تحن الى أجمل أيام الماضى ، وتعمل للحاضر ، وتشرف على المستقبل . ولما كان المرحوم أبو شادى بك شاعراً والشاعر يهوى الجمال والجلال ويتعشق الحقائق وينتعش بالآمال فقد أحب سعداً وأخلص لسعد ، وكان وفاؤه لهذا الزعيم العظيم دليل وفائه الصادق لوطنه ، وحبه اياه علامة الحب لمصر .

ان وصف الرجل بأنه عصامى وصف بسيط ، وقد أصبح مألوفاً تلوكه الالسن ، وذلك للوهم السائد ، لأن الكلمة وان كانت عربية ومنسوبة الى « نفس عصام » الا أن الفكرة أوربية حديثة . وهناك فى الغرب كل الطرق ممهدة لكبار الرجال الذين يكونون أنفسهم ، فقد فرشوا لهم فى الطريق ومهدوا لهم كل شىء ، وأما هنا فى مصر فالامر من أصعب الامور ، وذلك العصامى الناهض يجاهد ضد قوى مظلمة فى كل شىء . فان كان للاوربى العصامى فضل ، فلهذا المصرى العصامى أفضال مضاعفة ، لان كل شىء هنا — للاسف — مصنوع للمعاكسة بالذكاء والخلق ، وقبل أن يظهر العصامى المصرى لا بد له من التغلب على أهوال وأهوال وعلى عقبات التحاسد الذميم والوسط المحافظ الجامد .

لقد لون نفسه بالدراسة على الطريقة الازهرية التى هى طريقة تربى الذكاء وتدرب المواهب العقلية على الادراك ، فالازهرى النبيه كالضابط الالمانى يصلح لكل شىء فى الشرق والغرب .

كان أبو شادى بك ممتازاً بصفة قل من يلاحظها أو يقدرها قدرها — هذه الصفة هى صفة التحمس للافكار الشريفة والمقاصد السامية أى الاندفاع نحو الاشياء

العظيمة . وهذه العاطفة هى التى تدفع برجال البر والخير والمبادىء الشريفة ليعملوا جلائل الأعمال .

كان كثيرون يظنون أن المرحوم أبا شادى بك لا يعنى باعداد قضاياه ، وذلك لندرة ما كانوا يرونه يقلب الدوسيهات ، ولكن هؤلاء كانوا على خطأ . كان أبوشادى بك على موهبتين نادرتين فى فن المحاماة . الاولى — انه سريع الادراك أشبه بآلة (كوداك) التى تلتقط الصور المتحركة ، فكان يخزنها فى مخزن عقله بألوانها فلا تتركه ابداً . الثانية — انه يمشى دائماً على النقط الحساسة المهمة التى يدور عليها مجال البحث ، ثم إن فطرته لا تخونه . ولا يحتاج المحامى الكفء الخطيب بفطرته الى أكثر من هذا .

ان المحامى الفرنسوى أو الانجليزى يتعزز أحياناً على القضاة ويتأبى ويعتذر عن الدفاع ويتمحل الاسباب ويتنحل العلل . وقضاته فى كثير من الاحيان يقبلون عذره ويفسحون له حاشية أو هامشاً من التسامح فى صحيفة العمل لعلمهم بأنه مثلهم انسان عالم وفنان يعروه ضعف ووهن أو ميل الى الكلام أو انصراف عنه . أما المحامى المصرى فينبغى له دائماً أن يكون مستعداً أو شاكى السلاح كالديدبان اليقظ ، فانه منذ يلبس ذلك الطيلسان القاتم اللون فقد تجلبب بثوب الواجب الدائم الأداء ، فلا يعرف هوادة ولا هدنة لا من موكليه ولا من رفاقه ولا من قضاته .

وهكذا كان المرحوم أبو شادى بك مثالا للحارس الذى لا يغفل ، فيحضر فى صباح واحد فى جملة قضايا ويترافع فيها جميعاً اذا وجد موافقة من القضاة . وقد سمعته يترافع فى يوم واحد فى جملة قضايا مختلفة النوع فكنت أدهش من أنه يعطى لكل قضية قدرها وقيمتها ، ويعطى لكل عبارة نغمتها المناسبة الموافقة لنسق الموضوع ! وكان فى ذهن هذا الرجل ميزاناً دقيقاً كميزان الجوهرى فلا يزيد مثقال ذرة ولا ينقص مقدار شعرة . . . وكان فى نفسه مقياس لهبوب الريح مثل الذى يسترشد به القبطان فى البحر ، فكان يشعر بأدنى هبات « النسيم » ... !

سمعتُه مرة يترافع عن رجال أشداء اتهموا بقتل عمهم فى رابعة النهار بان شدّوا خناقه على جدار حتى فاضت روحه . . . فاقشعرت أبداننا من وصف التهمة وتساءلنا : كيف يكون موقف هذا المحامى من هؤلاء المتهمين الذين سدوا بفعلتهم مسالك الدفاع ؟! فلما بدأ الرجل يتكلم جمله الاولى كان الكل واجمين والمحامون

المحبون له مشفقين عليه مثل شفقتهم على القتيل ...! ولكن لم تمض دقائق معدودة حتى بدأنا جميعاً نغير رأينا فى الشيخ الذى مات ، ونشك فى صحة التهمة ؛ ونشعر بأن المتهمين إن لم يكونوا ابرياء فهم على الاقل جديرون بمنتهى الرحمة !

هل هـذا من التجارب والاختبار أو من حذق الصناعة ؟ كلا ! انه موهبة وعبقرية لايعرف سرها الا الذى أعطاها والذى تلقاها . . .

ان فى أوروبا وفى فرنسا على الخصوص جملة طرق لتمجيد العظماء غير النياشين والاوسمة والرتب للاحياء والاموات . ففى فرنسا توجد (الاكاديمية) للاحياء وينتخب لها كل نبيه ومدره نابغة وفصيح ، وفيها العالم والسياسى والشاعر والمحامى ويسمونهم بالاربعين الخالدين . ويوجد عندهم أيضاً هيكل (البانثيون) فى قلب باريس يحجُّ اليه أهل البلد والغرباء ، وفيه يدفنون العظماء . ونحن هنا فى الشرق العربى وفى مصر بالذات لم تؤسس لنا ندوة (كالاكاديمية) الفرنسوية تجمع مظاهر النبوغ فى الادب والعلم ، وكذلك ليس لعظمائنا من أمثال الفقيد مدفن جامع معروف يحجُّ اليـه الناس ويبقى مدى الدهر مصدراً للموعظة الكبرى ، ومشجعاً على اتيان أعظم الاعمال ، وان فى مصر بلا شك أربعين يستحقون انشاء (الاكاديمية) المصرية تبجيلا لهم وانتفاعاً بمجموع مواهبهم ؛ كما ان فى ثراها بلا شك من يستحقون بناء ذلك المدفن الاهلى العظيم ليضمَّ رفاتهم ويعظمها .

كانت فصاحة أبى شادى بك متعددة الالوان مثل شعاع النور الذى هو فى الحقيقة مؤلف من سبعة أشعة اذا اجتمعت تكون منها نور أبيض ... كان فصيحاً فى مرافعته الفصاحة القضائية التى هى نوع خاص وقائم بذاته . وكان فصيحاً فى خطبه السياسية فيخطب فى جميع الاوساط بما يناسب الوسط ، فيطرب له الخواص ويسر كما يستهوى العامة والدهماء . وإن ننس لاننس اليوم الذى عاد فيه سعد باشا من جبل طارق فى سبتمبر سنة ١٩٢٣ وسرنا اليـه وفداً من المحامين ، وكان المرحوم أبو شادى بك مريضاً بالغاً غاية الضعف ، فوقف يخطب ساعة فى تحية دولة الباشا الرئيس مرتجلا من آيات بيانه نثراً ونظماً ، فما ونى ولا وهن ، ولا تردد ولا أخطأ ولا تلعثم ، وكان يستشهد بالآية الكريمة والحديث الشريف والحكمة البالغة والشعر الرصين !

واذا استثنينا كلمات الله والاحاديث النبوية الشريفة ، فقد امتزج كلام الخطيب

الكبير بكلام الاقدمين النابغين وشعرهم بديباجة واحدة ، فلم يكن للسامع أن يستطيع التمييز بين أقوال مشاهير القدماء وقوله !

ولم تكن تفوته فى اثناء تلك الخطبة الجدية المداعبة الظريفة والنكتة الحاضرة والملحة المستحبة — ذلك لان الفقيد كان عالماً بالنفس ولا يخفى عليه ما لابد أن يعتورها من الملل اذا استمرت ابداً تحت احكام الجد العابس . وكان فى احاديثه الخاصة ممتعاً كثير الفكاهة متنوع البحث قديراً فى تفننه ، يكاد يخوض فى بحثه أى موضوع ، نظراً لذخيرة معلوماته العامة ، مما اكتسبه بالمطالعة الكثيرة والتجارب الوافية ، وحفظته له ذاكرته النادرة التى بقيت قوتها حتى آخر حياته مضرب المثل فى الاعجاز ، وقد دُعى لذلك بحق « التاريخ الحى لعصره » !

مات أبو شادى ففقدت المحاماة بموته شعلة من الذكاء النادر ، والحصافة العظيمة ، والفصاحة الخلابة ، وفقد الأبرياء والضعفاء نصيراً كبيراً لهم ما كان يغفل واجبه ، وفقد المجلس النيابى كما فقدت منابر الخطابة شخصية عظيمة وخطيباً مفوهاً جريئاً كان استاذاً لما أبدعه من أسلوب خطابى جامع لم يبلغ شأوه مقلدوه وربما لن يبلغ أحد ، وفقدت الصحافة أحد أركانها الأول وعلماً ضحى كثيراً فى سبيلها وكان ملاذاً اونبراساً للكثيرين من محرريها وكتابها ، وفقد الأدب العصرى شيخاً عاش طول عمره فتياً وكان يغذيه دائماً بآيات بيانه الساحرة وآرائه السليمة ومبتكرات تعبيره وتصويره الشائقة ، وفقدت الوطنية والسياسة زعيماً جليلا ، عظيم الشجاعة الأدبية ، راجح الفكر ، لا يستهويه غرور ولا نفع شخصى ، ولا يقوده الا المبدأ ، وفقدت الأمم العربية بلا استثناء محامياً عن قضيتها المشتركة ونصيراً من أكبر أنصار الجامعة الاسلامية ، وفقد رجال الفقه الاسلامى وشيوخ التصوف اماماً من أئمتهم كان يرجع الى آرائه الناضجة سراً وجهراً فى كثير من المشكلات والمواقف المعضلة ، وفقدت المروءة صديقها الأول ، والاحسان خليله الوفى ، والشهامة رفيقها الأبر ، وفقدت « مصر » جملة واحدة مجموعة عظيمة من أمثلة النبوغ والعبقرية المصرية العربية الأصيلة ، ولكن هيهات ان يفوت الخلود هذه العبقرية الفذة . . . فى ذمة المولى يا أبا شادى !

ابو شادى بك الصحفى

كلمة الاستاذ احمد بك حافظ عوض

(بالنيابة عن نقابة الصحافة)

جرت العادة أيها السادة فى مثل هذه المواقف بأن يجنح المؤبنون الى المبالغة فى تعداد مناقب الذين يرثونهم ، ولكنى سأجنح فيما سأذكره عن علاقة المرحوم أبى شادى بك بالصحافة إلى حفظ ماتقضى به حقوق التاريخ ، وواجب الذمة والأمانة .

لم يكن المرحوم أبو شادى بك صحفياً بالمعنى الذى يفهمه أهل الفن من رجالات هذه الصناعة ، لأنه لم ينقطع لها من جهة ، ولانه من جهة أخرى لم يأخذ من التربية العصرية بالقسط الذى يؤهله لاتخاذ الصحافة حرفة وعملا له فى الحياة ، ولكنه كان رجلا غريباً فى نشأته وفطرته ، وفى حدة ذكائه وعظيم استعداده وكفايته : تلك الكفاية التى جعلته يضرب فى كل وادٍ بسهم ، ويظهر له فضل فى كل ماتعرض له من الأعمال فى الحياة .

كان محامياً ناشئاً ، من الذين لم يتلقوا علوم القضاء فى مدارس الحقوق ؛ فكان له فى المحاماة القدح المعلى ، وكان معدوداً فى الصف الاول من كبار المحامين ، وكان خطيباً ، وكان شاعراً ، وكان كاتباً ، وكان سياسياً ، وكان عالماً أزهرياً ، وعالماً عصرياً ، ثم كان صحفياً وهو لم يرب التربية التى تجيز له التخصص فى كل هذه الفروع من المعارف الانسانية .

ومع ذلك فقد كانت له فى كل منها مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية معترف بها من الجميع .

وسبب هذا الفلاح الذى أصابه ، والفوز الذى أدركه ، على الرغم من قصور تربيته العصرية ، راجع الى ذكاء خارق ، وعبقرية عجيبة : تلك العبقرية التى كانت تمكنه من التفوق والظهور والفوز فى كل عمل تعرض له فى حياته الحافلة بجلائل الأعمال .

وبعبارة أخرى ، كان فى رأس أبى شادى بك عقل يصلح لكل شىء !

وليس من رغبتى أن أتعرض لأعماله فى غير ميدان الصحافة ، وهذا ما كنت أريد أن أتكلم فيه أمام هذا الجمع المحتشد فاقتصر على القول بانه كان للمرحوم أبى شادى بك جولة من الجولات الجديرة بالذكر والتذكار فى عالم الصحافة المصرية ، فى جريدة « الظاهر » أولا ، ثم فترة فى رئاسة تحرير « المؤيد » بعد وفاة المرحوم الشيخ على يوسف ثانياً . لم يدخل أبو شادى بك الصحافة محترفاً ولا متكسباً ، ولا طالباً منها رفداً ولا غنيمة ، بل دخلها محباً هاوياً مغرماً ، باذلا فى سبيل محبوبته الصحافة ماله ووقته ، ذكاءه ومجهوده . واذا قلت إن المرحوم محمد بك أبو شادى أنفق من ماله الخاص على جريدة « الظاهر » عشرين ألفاً من الجنيهات فما أظننى عدوت الحقيقة فى شىء .

ولم يكن من عمل المرحوم فى الصحافة ، سواء فى « الظاهر » أو فى « المؤيد » بعده ، الاشراف على الأخبار اليومية ، أو المسائل السياسية المعربة من الصحف الأجنبية ، بل كان عمله على ما عرفته قاصراً على المقال الرئيسى الذى كان يكتبه أو يمليه فى المسائل الوقتية المحلية .

وكان يجيد الاملاء إجادة غريبة ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان بفطرته خطيباً يلين له صعب القول فيرسله على القرطاس املاء ، كأنه يخطب ، وهو يكتب !

أما سياسته فى الصحف فقد كانت اسلامية فى جوهرها ، وطنية فى حقيقتها ومظهرها ، وكانت جريدة « الظاهر » فى وقت من الأوقات معارضة للتيار الذى كان سارياً فى جو البلاد ، لأن المرحوم لم يكن ليحفل الا بما يعتقده هو عن يقينه الخاص فى الظروف التى تتكيف به . وكيفما كانت الحال ، فقد كان للمرحوم أبو شادى بك فى عالم الصحافة مكانة لا تنسى ، وذكر لا يبلى ، وكان له على كثيرين من الأدباء الذين اشتغلوا معه فى الصحف ، بل والذين لم يشتغلوا معه أيادٍ بيضاء ، فكثيراً ما أمدّهم بالمال وساعدهم فى وقت الضيق ، وخفف عنهم ويلات الحاجة ، فلم تعرف شماله ما أعطت يمينه .

فلو لم يكن له فضل على الصحافة الا هذا لكفاه ذكراً وفخراً !

ولقد ترك المرحوم أبو شادى للصحافة وللأدب ، ولده الفاضل الكامل ، المهذب العاقل ، الشاعر الناثر ، الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، فهو فى نظرى ثمرة حياة انقضت ، وزهرة شجرة عطلت ، جعله الله خير خلف ، لخير سلف .

تعليق للدكتور ابو شادى

نشرته صحيفة (كوكب الشرق) المؤرخة ٧ يولية سنة ١٩٢٦

سيدى الأستاذ صاحب (الكوكب) الأغر .

تعقيباً على كلمتكم التاريخية النزيهة عن المرحوم أبى شادى بك من الوجهة الصحفية ، أبدى أولا تقديرى للروح التى أملتها لأنها روح الاستقلال والتحقيق والانصاف التاريخى ، ثم أقرر الملاحظات الآتية عن علم ويقين تام ومشاهدات طويلة . ولا أكتبها باعتبار أنها تخص والدى بل على اعتبار الأمانة التاريخية نحو زعيم من زعماء الأمة . وحضرتكم تتذكرون جيداً مخالفتى الشديدة للمرحوم أبى شادى بك فى بعض المواقف منذ ١٥ سنة ، وكيف أنه كان يرحب بهذه المخالفة فى العموميات ولا يعدّها مناقضة للبر البنوى ، وكيف كان يشجع استقلالى فى الرأى فى حدود الاعتدال .

اذاً فلتسمحوا لى أن أقول إن جهد الفقيد الصحفى كان أبلغ بكثير مما يظن أو يروى عن بعض معاصريه ، فهو الذى عنى بتقسيم جريدته (الظاهر) ثم ترك بعد ذلك تحريرها الى من وقع عليهم اختياره من كبار الأدباء فى ذلك الوقت . ورغماً عن شواغله بالمحاماة فقد كان يستعرض مواد جريدته اذا سمح له الوقت ، وقد ينشىء افتتاحية عدد من الاعداد تعليقاً على خبر بسيط . ولولا كثرة تنقله لكان أعطى صحيفته مجهوداً أكبر وعناية أتم ، وكان يستحث الأدباء على الكتابة (للظاهر) فأبرز للقراء آثاراً قيمة كانت مستورة ، ومن أقسام جريدته التى كان يحفل بها القسم الذى أسماه « أدبيات » وكثيراً ما كان يكتب فيه شوقى بك نثراً . وان المراجع لمجلدات (الظاهر) فى دار الكتب المصرية ليجد بها من آثار نشاطه ذخراً كبيراً ، بيد أن الأهم من (الظاهر) فى نظرى جريدته (الامام) الاسبوعية لانها كانت ذات صبغة أدبية خالصة سدّ بها فراغاً فى وقت الضعف الادبى والعجز الصحفى . وقد أشرتم الى توليه رئاسة تحرير (المؤيد) فترة من الزمن ، وكنت معارضاً فى ذلك لأسباب كثيرة منها علمى بضعف صحته فى ذلك الوقت مما لا يسمح باستمراره الطويل على العمل ، ولا العناية الواجبة

بالجريدة ، ولكن الحاح مجلس ادارة شركة (المؤيد) تغلب على تردده فى النهاية . وهذا الدور من حياته الصحفية يمثل نشاطاً محدوداً يصدق عليه وصفكم ، ولكن هذا الوصف لاينطبق على حياته الصحفية الاولى التى كانت مثال النشاط التام والاحاطة الوافية بمواضيع وحاجات جريدتيه (الامام) و (الظاهر)، كما كانت مظهر الرغبة فى انعاش الادب المصرى الصميم ، وقدشجعنى وقتها على إنشاء مجلة (حدائق الظاهر) كما عُنى بنشر طائفة من الكتب الادبية واللغوية الجليلة .

ان نشأة الفقيد وتربيته الازهرية تذكرنى بنشأة وتربية المرحوم الشيخ على يوسف ، وقد كان كلاهما نابغاً فى عالم الصحافة العربية رغم توزع خاطريهما ، وكانا مشتركين فى صفات كثيرة ، وان اختلفا مشرباً وخطة فى وقت ما . ولكليهما وقفات وطنية مشهودة . وأعتبر أهم مواقف المرحوم أبى شادى بك الصحفية فى عهده الاول متعلقة بمأساة دنشواى ، وبفتح بور سودان ، وبحث أمراء مصر وسراتها على استثمار السودان قبل أن تغلق أبوابه فى وجوه أبناء مصر . وقد كانت حصافته السياسية صادقة فى كل مخاوفه عن سلامة الوطن ومستقبله .

لقد أصبحت مهنة الصحافة الآن تتطلب دراسة خاصة كما أصبحت كل مهنة صغيرة أو كبيرة ، ولكن منذ عشرين سنة كان شرفاً غير قليل للصحافة أن يقبل عليها أحد رجال المحاماة فكيف اذا أخذ بيدها مثل أبى شادى بك المحامى الاشهر فى وقته ؟ فكان له من مركزه الأدبى والاجتماعى ومن قوة فراسته وخبرته العامة وتجاريب الحياة وأسفاره الكثيرة وسخائه المالى ونظراته السياسية البعيدة خير عدة فى مهمته الصحفية ، كما شهد بذلك ذوات خصومه السياسيين .

وكثيرون من الأدباء وأهل السياسة يذكرون مقالاته البليغة الكثيرة التى كان يمليها لشتى الصحف والمجلات إما باسمه أو بامضاء مستعارة حسب الظروف والموجبات ، وكان لها وقع عظيم وتأثير كبير فى نفوس الخاصة والجماهير ، ولايزال لها صدى حى حتى الآن .

والخلاصة أن سيرة الفقيد الصحفية تمثل حقيقة : (١) أنه ولد بفطرته صحفياً ، وأن للقوة البيانية من خطابة وكتابة علاقة كبرى بالمقدرة الصحفية ، و (٢) انه كان شديد الرغبة فى تقوية الصحافة المصرية الصميمة ، فلم يبال بالتضحيات الجسيمة

التى استدعاها ذلك المطمح و (٣) انه كان عظيم الشجاعة الادبية ، وكم من رأى له خالفه الجمهور أولا ثم أقبل عليه أخيراً ، و(٤) انه بقى الى آخر حياته يعتقد أن الجامعة العربية العامة لاتنافى الجامعة المصرية الصميمة ، وهو مبدأسعى لبثه جهده فى جريدتيه ، ثم فى الصحف التى كانت تتهافت على مقالاته ، ثم فى جميع مجهوداته الخطابية . وما حياته الصحافية الاصورة من نفسه النشيطة التى بقيت تكافح فى شتى الميادين الوطنية حتى آخر رمق من حياته .

وتفضلوا بقبول وافر احترامى ،

أحمد زكى أبو شادى

obeikandl.com

مرثية الاستاذ خليل بك مطران

وهى التى وُصفت بأنها « آية من آيات وفائه لأصدقائه ، بما ضمنها من المعانى السامية والذكرى التى لا تمحى ، والتى يحفظها للفقيد الكريم » ، وقد اعتبرها كثيرون من الأدباء أعظم مرثية فى الشعر العصرى

نبا بكَ دهرٌ بالافاضل نابى ... وبدلت قفراً من خصيب جناب
برغم العلى أن يمسى الصفوة الألى ... بنوا شرفات العز رهن يباب
أتمضى أباشادٍ وفى ظن من يرى ... زهورك أن النجم قبلك خابى
عزيز على القوم الذين وددتهم ... وودوك أن تنأى لغير مآب
وأن يبكم الموت الأصم أشدهم ... على من عتا فى الأرض فصل خطاب
فتى جامع الأضداد ، شتى صفاته ... وأغلبها الحسنى بغير غلاب
محام بسحر القول يسبى قضاته ... فما فعله فى سامعين طراب
فبيناه غريد إذا هو ضيغم ... زماجره للحق جد غضاب
يروع النهى منه لدى كل موقف ... بديع سؤال أو بليغ جواب
رقيق حديث إن يشبه حديثه ... فما الخمر زانتها عقود حباب
يسيل فيروى النفس من غير نشوة ... مسيل نطافٍ فى الغداة عذاب
بما يخصب الاذهان مخضل دره ... كما يخصب القيعان در سحاب
أديب إذا مجت يراعته السنى ... تبينت أن الفيض فيض عباب
ففى الأذن تهدار الاتى وقد جرى ... على أن ما فى العين صحف كتاب
وفى الشعر كم قول له راق سبكه ... أتى الوحى فى تنزيله بعجاب
به نصر الوهم الحقيقة نصرة ... تضىء نجوماً من فضول ثقاب
فأما المساعى والمروءات والندى ... فلم يدعه منهن غير مجاب
كأن جنى كفيه وقف مقسم ... فكل مرج عائد بنصاب
وما صد عن اسعاده باسط يداً ... ولا رد عن جدواه طارق باب
ولم يك أوفى منه فى كل حالة ... لمن يصطفى فى محضر وغياب
إذا هو والى فهو أول من يرى ... معيناً أخاه حين وقع مصاب

وما كل من صادقتهم بأصادق ... وما كل من صاحبتهم بصحاب
يعفّ فيعفو عن كثير مؤملا ... له العفو من رب قريب متاب
وما عهده إن محصته حفيظة ... بزيف ، وما ميثاقه بكذاب
وفى الناس من يحلى لك المرخدعة ... وترجع من جناته بعذاب
تذكرت عهداً خالياً فبكيته ... وهيهات طيب العيش بعد شباب
كأنى باستحضاره ناظر إلى ... حلاه ومستاف زكى ملاب
بروحى ذاك العهد كم خطر به ... ركبنا وكان الجد مزج لعاب
وهل من أمور فى الحياة عظيمة ... بغير صبى تمت وغير تصابى ؟
زمان قضينا المجد فيه حقوقه ... ولم نله عن لهو ورشف رضاب
محضنا به مصر الهوى لا يشوبه ... حذار قصاص أو رجاء ثواب
ومامصر الاجنة الارض سيجت ... بكل كبير الهمّ غض اهاب
فداها ولم يكرثه أن جار حكمها ... فذل محاميها وعز محابى
فكم وقفة إذ ذاك والموت دونها ... وقفنا وما نلوى اتقاء عقاب
وكم كرة فى الصحف والسوط مرهق
كررنا وما نرتاض غير صعاب
وكم مجلس مما توخت لنا المنى ... غنمنا به اللذات غنم نهاب
لنا مذهب فى العيش والموت تارك ... قشور القضايا آخذ بلباب
يرى فوق حسن النجم وهو محير ... سنى الرجم ينقضّ انقضاض شهاب
وما هلك أفراد ومصر عزيزة ؟ ... أما أجل الانسان منه بقاب ؟
كذلك كان الالف فينا ولم يكن ... ليضرب خلف بيننا بحجاب
ولله بين الموثقين عرى الهوى ... محمد فى حالى رضى وتنابى
حفظت له عهدى ولو بان مقتلى ... لدهر به جد المروءة كابى
وما خفت فى آن عتاباً وإن قسا ... به الناس ، لكنى أخاف عتابى
أبى الله أن ألفى كغيرى مولعاً ... بخلع أحبائى كخلع ثيابى
فما أنا من فى كل يوم له هوى ... ولا كل يوم لى جديد صواب
يرانى صديقى منه حين إيابه ... بحيث رآنى منه حين ذهاب
وما ضاق صدرى بالذين وددتهم ... ولا حرجت بالنازلين رحابى

وآنفُ سعياً فى ركاب ، فكيف بى
ولى كل حول أخذة بركاب ؟ !

حرامٌ علينا الفخر بالشعر إن تقعْ نسور معاليه وقوع ذباب !
وما كبرياء القول حين نفوسنا تجاويف أرض فى انتفاخ روابى ؟!
وما زعمنا رعىَ الذمام وشدنا بظفر على من فى (الامام) وناب ؟!

* * *

(زكىٌّ) لك الارث العظيم من العلى وما ثروة فى جنبه بحساب
فكن لأبيك الباذخ القدر مخلفاً بأكرم ذكرى عن مظنة عاب
وعش نابهاً بالعلم والفن نابغاً فخارك موفور وفضلك رابى
ألا اننى أبكى بكاءك فقده وما بك من حزن عليه كما بى
قضى لى بهذا الخطب فيمن أحبه إلهٌ اليه فى الخطوب منابى
ففى رحمة المولى أبوك أبو الندى وفى عفوه أحرى امرىء بثواب

مرثية الاستاذ أحمد نسيم

(شاعر الحزب الوطنى)

هاجت كمين الأسى فى مهجة الوادى ... ذكرى الفقيد : خطيب الحى والنادى
ذكرى تجدد ما بالقلب من شجن ... تجدد النار تذكيها بايقاد
وكيف تنسى غداة البين رقدته ... والنعش ما بين اسراع وارواد
كأنه هودج الانصاف مرتفع ... على كواهل لم تخفض واكتاد ؟!
هل استعار من الحدباء منبره ... أم استقل الهوادى خير أعواد ؟!
أوّاه من بعد قوم طال نأيهمو ... ومن حمام نفوس ما لها فادى !
ماذا أقول ولم نفجع بواحدة ... لكن فجعنا بعشرات وآحاد ؟!
نجم تعالى فما يهفو به صبب ... وضيغم حيث يعدو غير منقاد
سبط البنان فما تنفك أنمله ... تهمى فتروى غليل الظامىء الصادى
كأنه منهل طابت شريعته ... والناس مابين صدار وورّاد
خلائق كرياض الحزن عابقة ... عن نفحة من رياحين وأوراد
وأنعم كالنجوم الزهر ماحسبت ... الا تنزهن عن حصر وتعداد !
وفى السياسة كم أبلى فما وهنت ... له العزائم من كد واجهاد
نضا يراعاً يكاد السيف يحسده ... وقد رآه قويماً غير منآد !
ماضى الغرارين لم ينضب بصفحته ... ماء الفرند ولم يصدأ باغماد !
مشى إلى النفى لايغرى ببارقة ... من الوعود ولا يثنى بارعاد
كأنهُ البحر لاتثنيه شاهقة ... من الجنادل قرت فوق أوتاد !
يسرى على نور (سعد) فى مطالعه ... مسترشداً بضياء الكوكب الهادى(١)
زعيم مصر الذى باتت مآثره ... تربى على العدّ من خاف ومن بادى
سلوى النفوس اذا جاشت لفادحة ... أو هاجها فقد أحباب وأولاد

---

(١) هذا البيت والثلاثة الأبيات التالية أضافها الاستاذ أحمد نسيم الى قصيدته ارتجالا لما لمح سعد باشا فى مقصورته يصفق له أثناء الانشاد . (راجع مجلة « كل شىء » المؤرخة ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ - ص ١١) .

قم يادفين الثرى وافخر بمرثية هززتُ (سعداً) بها إبان انشادى !

* * *

شيخ المداره! ركب الحق فى جزع دون القوافل يبكى غيبة الحادى
فكم برىء مشى فى برده طلقاً لولاك بات حبيسا رهن اصفاد !
كنت المعين له والظلم متقد تذكيه نيران أضغان وأحقاد
لله يومك أضحى وقعة جللا على قلوب ذكت فيها واكباد
يوم غدونا به كالطير أقلقها رمى تتابع من جعبات صياد
حملت فيه إلى ارجاء مؤصدة محجوبة عن عيون الرائح الغادى
بالله كيف خبا نجم الهدى سحراً ومن رماه باطفاء واخماد ؟!
ماللمنايا ـ رماها الله ـ مولعة بكل حر عن الأوطان ذواد ؟!
رامت جداه فأعطى نصفه كرماً عطاء سمح كريم الكف جواد
وقال للنفس لاتبكى على جسدى فداء قومى أعضائى وأعضادى
وعاش بالنصف يرعى حق امته حتى رمته يمين السالب العادى !
صحيفة كبياض الصبح ناصعة فرحمة الله تترى يا أبا شادى !

مرثية امير الزجل

الأستاذ محمود رمزى نظيم

(وكان من تلاميذ الفقيد ومن صفوة مريديه)

العمر لما انتهى حدود عليك القدر
فى جنة المنتهى فى الخلد مثوى القمر

فارقت دار الغرور دار الأسى والشقا
خرجت منها وذكراك دايمه لطول البقا
والشخص بعده أثر !

الحزن كله عبث والصبر واجب على الناس
أعظم عظيم قبلنا بقى تراب يتداس
وانحط فوقه حجر !

الجسم أصله عناصر ينحل ، يرجع إليها
والدنيا إيه شفنا فيها يسر ، نبكى عليها
غير الألم والضجر ؟!

فيه ناس كتير عايشين وميتين قبل موتهم
وناس كتير ميتين وبعد موتهم حياتهم
وآدى العيان والخبر !

يللى خدمت الوطن ورقدت فى واديه
فدت حياتك حياته من كتر حبك فيه
قلبك عليه انفطر !

فى «رفح» عهد اعتقالك بالفخر منقوش هناك
سجن وعذاب واضطهاد ياما قاسيت من هلاك
وكنت حر وصبر !

زى الأسد سجنوك محب عاشق بلاده
حلف ما يسلى هواها وان عاش يواصل جهاده
حتى تنول الوطر !

كنت الخطيب المحامى كنت الصحافى القدير
فين اللسان الفصيح والكاتب النحرير
وأبو العظات والعبر ؟ !

ذكراك من بعد عام هزت قلوب البلد
ميت بجسمك وعايش ويا التاريخ للأبد
ولك صحايف غرر !

فى حب مصر العزيزه ياما غلبت الزمن
عيان وبتجود بروحك وتلبي داعى الوطن
فى شدته والخطر !

(أبوشادى) روحى تناجيك رفرف بروحك علينا
إحنا ائتلفنا لبلدنا ومن جديد انتشينا
و (سعد) فاز وانتصر !

يا ابن الفقيد العزيز الكل بيعزوك
عيش يا (زكى) للبلد انت خليفة أبوك
وسعيك المنتظر !

نماذج من تقديره العام

obeikandl.com

« لم ينل زعيم محبة الشعب عن جدارة بأكرم مما نالها أبو شادى بك »

سعد زغلول باشا

* * *

« كان الفقيد ذا صفات نادرة من حق التاريخ أن يعيها ، ومن واجب الجيل الحاضر أن يحتذيها . وان حياة حافلة بجلائل الاعمال لحرية بالخلود ، حرية بالذكرى ، حرية بالتمجيد »

مصطفى النحاس باشا

* * *

« كبر على الخطب فى هذا الرجل الكبير الذى كان منى بمنزلة الاب ، كما كانت شمائله الغراء وصفاته الفاضلة ووطنيته المجردة من كل مطمح الا البلاده محلا للاعجاب ، ومجلبه للا كبار ومثاراً للفخار »

صادق حنين باشا

مختارات من أقوال الصحف والكتاب

إثر وفاته وفى ذكراه

(١) رثاء المقطم

خسرت مصر اليوم عاملا آخر من العاملين فى نهضتها الوطنية الحديثة ، ومجاهداً من المجاهدين الصادقين فى حركتها السياسية ، ومحامياً من المحامين الذين عرفوا بالمقدرة والكفاءة وطلاقة اللسان وحسن البيان ، وكاتباً من الكتاب المجيدين ونعنى به الأستاذ المرحوم المغفور له محمد أبو شادى بك . تخرج من الأزهر الشريف بعد ماتفقه بعلومه ثم اشتغل بالمحاماة أمام المحاكم الأهلية والشرعية ، فأنشأ لنفسه بجده ونشاطه وذكائه شهرة كبيرة ، ووقف جانباً من جهوده على خدمة بلاده ، فعانى الشؤون السياسية بما كان يسطره بقلمه فى « المؤيد » وغيره من الصحف ، ثم أنشأ صحيفة « الظاهر » ووقفها على هذه الخدمة العامة التى ملكت شغاف قلبه ، ولما جدّ جدُّ الحركة الاستقلالية كان المرحوم أبو شادى بك من الذين عملوا فيها بكل قوتهم وتحمل فى سبيل ذلك ماتحمل من آلام السجن والنفى الى رفح . ومن صفاته رحمه الله أنه كان يجل جميع العاملين فى الحركة الوطنية . ويعترف لكل ذى فضل بفضله وقد عرفت له الأمة مواقفه وجهاده ، فاختاره الناخبون عضواً فى أول مجلس للنواب بعد اعلان استقلال ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ ، وكان يومئذ قد أصيب بالفالج ، فلم يستطع أن يشهد جلسات المجلس ويشترك فى مناقشاته وإن كان قد تمكن من الذهاب اليه لأجل حلف اليمين فقط ، والظاهر أن الداء عاد فجدد حملته عليه بعد ما آذنه بالبرء بحسن العناية التى بذلها مشهورو الأطباء من المعجبين بأبى شادى بك فعز الدواء وانتقل هذا الرجل العظيم الى دار البقاء والخلود فى الساعة الرابعة من صباح الاثنين وماذاع نعيه فى الحاء العاصمة حتى تقاطر الجم الغفير من أصدقائه ومعارفه وزملائه المحامين الى داره بشارع عمرة لمشاطرة ذويه الحزن والأسى على فقده . وقد حددت الساعة الخامسة بعد ظهر الاثنين لتشييع الجنازة الى الامام فى محفل كبير يسير فيه الوزراء والكبراء ورجال القضاء والنيابة والمحاماة والأعيان وكل ذى مقام فى عاصمة القطر الى حيث يوسدونه الثرى مذكوراً بآى فضله

وستوقف جلسات المحاكم الاهلية التى تعقد صبح اليوم بضع دقائق حدادا على الفقيد فيؤبنه القضاء والمحاماة ويذكرون مناقبه ويترحمون عليه . تغمده الله بواسع غفرانه ، وألهم حضرة نجله الفاضل الدكتور أحمد زكى أبو شادى مدير المعمل البكتريولوجى بالسويس وجميع آله وذويه وهيأة المحاماة جميل العزاء .

(٢) رثاء السياسة

توفى أمس الأستاذ الكبير المعروف أبوشادى بك ، فراحت مع آخر نفس لفظه شخصية برزت بين الشخصيات المصرية فى نصف القرن الأخير . ومَن مِن مصريى هذا النصف يجهل أبا شادى بك ومَن منهم لم يسمع عنه إن لم يكن قد رآه رؤية .

كان أبوشادى بك محامياً فكان نقيباً ، وكان محدثاً فكان ظريفاً ، وكان راوية فكان خفيفاً ، وكانت صفاته هذه كلها تتجلى فيه وهو يعمل سياسياً كاتباً أو خطيباً .

كان أبو شادى بك يخالفنا فى الرأى السياسى بل فى الاساليب السياسية لكن هذه المخالفة لم تكن لتحول يوماً دون عرفاننا له تلك الميزات التى كانت تبرز بها شخصيته وهو فرد ، وهو محام ، وهو سياسى .

وكان رحمه الله قد اعتراه فى أيامه الأخيرة مرض ألزمه الفراش طويلا فحرم أصدقاءه واخوانه وعارفيه كثيراً من تلك الخصال التى امتاز بها ، وكثيراً من تلك اللطائف التى كانت تبدر منه .

توفى أبوشادى بك أمس وشيعت جنازته أمس وأقيمت ليلة مأتم واحدة وقد مشى فى جنازته الكثيرون من كبراء القوم محامين وغير محامين وأمّ مأتمه الكثيرون من عارفى قدره وحافظى وده .

رحمه الله رحمة واسعة وعزى آله ونجله صديقنا الدكتور زكى خير العزاء .

(٣) رثاء النظام

عرفتُ الاستاذ فقيد المحاماة محمد أبو شادى بك واسمه فى فنه يرنّ كالذهب الخالص ، شهد له الناس بالذمة ، وعرفوه بالاقتدار ، وقوة العارضة وحضور البديهة ، فكان اذا وقف للدفاع استرعى الاسماع ، وانفسح أمامه المجال وتسارعت اليه الادلة والحجج متسابقة ، فكان السعيد من أصحاب الدعاوى من يقصده ويستنصر

به من ظلم وقع عليه فيجد أباً رحيماً ، وقلباً عطوفاً ، ونفساً لا يهمها مما فى يده الا أن تسعفه بالبراءة .

وكان رحمة الله عليه غيوراً على الحرية متفانياً فى حبها يريدها لنفسه ولكل الناس ، فلم يكن أشد عليه وقعاً عن سماعه بخبر مظلوم ألقى فى غيابة السجن فينبرى لفك عقاله ، ويتقدم المدفاع عنه ، ولم يكن أوجع لقلبه من صاحب حق اغتيل حقه فينتصف له ويسترد حقه اليه ، وهكذا كان الاستاذ محترماً من زملائه المحامين ، ومن الهيئات القضائية التى كانت تقدر فضله وتعرف قيمة دفاعه وترفعه عن الاسفاف والمداورة ، فكان صريحاً فى عبارته موجزاً فى بلاغته — وهذا الذى أكسبه الشهرة فى المحاماة وجعل له تلك المكانة العليا .

وكان رحمه الله بين الثلاثة الذين تطوعوا للدفاع فى حادثة دنشواى المعروفة ولم تجد بلاغتهم فى دفع الظلم وانقاذ المظلوم ، لأن السياسة وقفت حائلا دون العدل فاسكتت المحاماة وانطقت كل جلاد أثيم ، مشئوم زنيم ، ولا يزال يروح ويغدو ويقول فيه الناس : يموت الصالحون وانت حى !

ورأى الفقيد وهو فى عزة مكانه من المحاماة ان يخدم الصحافة فانشأ جريدة « الامام » الاسبوعية وكانت تضرب على نغمة « مصباح الشرق » ولكنها لم تف بطموحه الصحفى ولم تسع اندفاق حبه للحرية ولم يجد مجال القول فيها واسعاً فأصدر «الظاهر » اليومية ووقف بها الى جانب « مصطفى كامل » يناصره ويؤيده ويذب عنه ، وكانت له مع صاحب « المؤيد » مواقف صحفية مشهورة فى هذا السبيل حتى كانت مسألة « الزوجية » المعروفة فانتصر الفقيد لشرف بيت السادات وحمل على صاحب المؤيد حملة جريئة عنوانها « عام الكفء » وقد جالت فى هذا الباب أقلام كثيرين من الناقدين وأهل الأدب والشعراء . وظل الفقيد يؤيد « مصطفى كامل » حتى لقى الاخير ربه فكان الفقيد أشد الناس حزناً عليه وبكاء على فقده وتأثراً من مصاب البلاد فيه .

ولما أصدر الامام الحكيم الشيخ محمد عبده « الفتوى الترنسفالية » ظن الفقيد أن فيها ما يخالف الشرع فدفعته شجاعته الادبية وغيرته الدينية الى أن يهاجم الامام على جلالة مكانته العلمية والدينية وأخذ يفند الفتوى فانبرى له فقيد الادب صديقه وزميله المرحوم اسماعيل بك عاصم المحامى وردّ عليه فى جريدة «الراوى» التى كان

يصدرها يوسف طلعت باشا وكانت لها جولات وانتهى الامر بأن زار الفقيد الاستاذ الامام ولما تبين له منه الحق اطمأن قلبه على صدق « الفتوى » ووقع الصفاء بينهما وكان يحب الامام حباً جماً .

وكان المرحوم لسناً فصيحاً حلو العبارة مستملح النكتة ، يرسلها ارسالا بغير تكلف ولا تعمل ، فكان فى مرافعته وفى مجالسه وفى خطابته هو بشمائله العالية وخفة روحه وسمو أدبه ، فكنت ترى الحفلات العلمية والادبية والسياسية لاتخلو من كلمة لأبى شادى بك تكون واسطة العقد وزينة القول . فكان يقف فيروّح عن النفوس : يطربها ويعظها ويضحكها ويبكيها ويزجرها ويمنيها بدون أن تتغير لصوته نبرة أو تضعف لعارضته قوة .

وكان شاعراً رقيقاً وكاتباً مجيداً لانزال نذكر رسائله الشائقة فى جريدة «البلاغ» الفرنسية العربية التى كان يصدرها الوطنى الكبير المرحوم اسماعيل بك شيمى وكان الاستاذ يكتبها تحت عنوان « من السبت الى السبت » فيتلقفها الشعب بشوق ويطالعها بشغف ، وكانت وحدها لساناً ناطقاً بما أوتى الفقيد من الشجاعة الادبية ، وكانت حرارة الوطنية تهب من سطورها حسرات على الوطن المهضوم حقه ، المظلوم فى عصر العدالة والحرية .

ولما قامت الحركة الوطنية كان الفقيد فى طليعة دعاتها المؤيدين لها وأصبح مكتبه مصدراً من مصادر نموها وحياتها ، وموضعاً لاجتماع الكثيرين من كبار رجالها وأعوانها ، فاعتقل مراراً فى رفح وغيرها وأثر الاعتقال فى صحته تأثيراً سيئاً كانت نتيجته تلك النكبة التى أودت بحياته الغالية وأصابت البلاد فيه .

ولكنه رحمه الله كان صبوراً جلداً ثابت الجنان قوى العزيمة فلم يبال بما يناله فى سبيل خدمة بلاده — ولما خرج من الاعتقال كان يغشى الحفلات الوطنية ويقف فيها خطيباً كعادته يتلقاه السامعون بالهتاف العالى ويسألونه أن يطيل كلما أراد أن يزايل المنبر .

وقد رأس رحمه الله « جمعية الدفاع عن الحرية السياسية » ، ولهذه الجمعية صوت مرتفع لايزال يتردد الى اليوم .

وكان أبو شادى بك مع اتقاد وطنيته وحماسته الملتهبة كريم العنصر رضى الاخلاق باشاً هاشاً محسناً ، لايغفل عن أداء فرائضه الدينية لنزعته الصوفية ، فعاش تقياً ورعاً

مخلصاً لله الدين ، محباً لنبيه صاحب الشفاعة العظمى صلى الله عليه وسلم ، حتى لقى ربه على عهده الذى عاهده عليه .

ولما كانت الانتخابات لمجلس النواب رشح الوفد المصرى الفقيد عن دائرة الخليفة دفعتين فزاحمه الكثيرون فلم يفوزوا بطائل وأقبل الشعب على انتخابه اقبالا تاماً حتى فاز بأغلبية الأصوات ، ولكن المرض اشتد عليه فأقعده عن القيام بواجبه وعن اسماع صوته العالى فى تلك الدار التى كان يحن للوقوف فيها لخدمة بلاده وتعزيز حقوق أمته .

وقد وقف رحمه الله مؤيداً للوفد المصرى مخلصاً فى الالتفاف حول علم الزعامة محباً لحضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا أمد الله للوطن فى عمره ، فكان يدافع بلسانه فوق المنابر وبقلمه فى الصحف حتى راح مبكياً عليه من الجميع مذكوراً بأطيب ما يذكر به الراحلون من هذه الحياة الفانية إلى الدار الباقية ، وترك للبلاد ولده العالم الفاضل البار الدكتور أحمد زكى أبو شادى يملأ العين فضلا ونبلا ، وأخلاقا وذكاء وجلالا ومهابة ، وحسب الرجل أن يكون له مثل هذا الخلف الذى يذكر به السلف الصالح فيترحم الناس عليه لأنه خلف صالحاً وترك ذكياً .

ففى ذمة الله يا أبا شادى بك وفى فردوسه ! نم مطمئناً فى هذه الارض التى كنت تحبها وتخلص فى خدمتها ، فانا عودتنا جميعاً اليها كما جئنا منها . اننا سنلتقى فى السماء حيث يلتقى المخلصون الصالحون أعمالا — تقبلك الله بقبول حسن وأحسن جزاءك .

(٤) رثاء الاهرام

فجعت مصر أمس فى كابر من عليتها ، وبطل من المبرزين فى حلبتها ، وعلم من أعلام نهضتها ، هو المغفور له الاستاذ الكبير محمد أبو شادى بك .

وافت الفقيد الكريم منيته فى الساعة الرابعة من صباح أمس أشد ما كانت مصر حاجة الى قوة جنانه وخلابة بيانه وطلاقة لسانه ، واظهر ما كانت افتقاراً الى مثل وقفاته المشرفة فى النضال عن حقوق الامة بشباة قلمه تارة واسلة لسانه تارة أخرى ، وأحرص ما كانت على الاستفادة من مواهبه وملكاته الفائقة .

كان الفقيد الكريم ركناً من أركان المحاماة وإليه انتهت رياسة نقابتها فترة من الزمن حفلت بمآثر له طيبات ، ومن قبل كان قوة من القوى العاملة فى الصحافة

فخدمها بادئاً بما دبجه قلمه من المقالات الوطنية الممتعة فى الاهرام والمؤيد وغيرهما ، ثم أنشأ جريدته اليومية الظاهر فطارت شهرتها كل مطار ، وأصبح لها فى كل مكان شيعة وأنصار ، وما زال يخدم البلاد ويعمل مع العاملين فى بنائها ، ويستحث على البر بها جلة أبنائها ، فلم يدع حادثاً مرَّ بمصر أو أزمة سياسية مرت بها الا كانت له جولات صادقات كشفت منه عن وطنية متلهبة وعزيمة متأهبة وهمة متوثبة .

وقد كافأت الأمة نبله وفضله واخلاصه بانتخابه عضواً فى مجلسى النواب الماضيين ، واذا كان المرض الذى نهكه فى تلك الفترة لم يمكنه من العمل مع زملائه فقد كان مشاركاً لهم بقلبه ، ولقد شهدناه حين أبلَّ قليلا وحضر بعض الجلسات وهو مستند إلى طبيبه وأحد أصدقائه وسمعناه وهو يخطب آنئذ فكان كالعهد به وهو فى أتم صحته من حيث حضور بديهته وذلاقة لسانه ولطف أسلوبه الخطابى ، فرأينا كيف يفى القلب من حيث تخون الصحة وكيف يتغلب العزم والاقدام على الضعف والسقام !

وقد استطارت شهرة الفقيد الكريم بحق فى عالم المحاماة ، ويروى عنه تلاميذه وهم من خيرة المحامين اليوم نوادر تدل بجلتها وتفصيلها على نباغة فائقة ، وبلغ من شيوع شهرته بما ربح من أمهات القضايا وبخاصة منها الجنائية أن كان الرجل اذا غضب على الرجل فى قاصية الصعيد تهدده بقوله : « أقتلك وأروح لولد أبى شادى »

أما أخلاقه فقد كانت من أكرم الاخلاق ، فقد كان وفياً مخلصاً لين العريكة جم المؤاساة كثير المبرات محبباً الى أنفس عارفيه من أصدقائه ومن خصومه السياسيين على السواء .

وما شاع نعيه فى العاصمة والاقاليم حتى توافد الكبراء والفضلاء على داره فى الظاهر معزين مؤاسين لنجله الاستاذ الفاضل الدكتور احمد زكى أبى شادى وحمل اليه البرق مئين من رسائل العزاء .

وقد اتصل نعيه قبيل الظهر بالمحاكم وأبنه كثير من رؤسائها والأساتذة المحامين أمامها تأبيناً مؤثراً بليغاً .

واحتفل بتشييع جنازته أمس فى موكب كان مظهراً من مظاهر منزلته الرفيعة فى القلوب ، وقد اجتمع فى موكبه جمهور كبير من كل طبقة من الطبقات يتقدمهم

جميعاً حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا ورجال الوفد المصرى وأعضاء الهيئات النيابية وممثلو النقابات وعدد عديد من الاساتذة المحامين ، ومازال الموكب سائراً يزداد بمن ينضم اليه من الجماهير حتى وورى الفقيد الكريم فى التراب مبكية مآثره ، مبكية مناقبه ، مبكية محامده .

تغمده الله برحمته وأجزل مثوبته عداد حسناته وألهم نجله الفاضل وآله الكرام جميل الصبر والعزاء .

(٥) رثاء البلاغ

ننعى للشعب رجلا فى الصف الأول من رجاله فى سلامة العقيدة وحرارة الايمان ، وننعى للمحاماة وشقيقها القضاء دعامة من أكبر دعائم الحق والقانون بما أوتيه من ذكاء متقد وعلم واسع وخبرة هى خلاصة التجاريب ، وننعى للصداقة والوفاء وحسن العشرة وحلاوة الحديث والعطف والبر رجلا هو أكمل ما يكون من الصور الصادقة لهذه الصفات .

فليس فى الشعب من يجهل الرجل الشعبى محمد بك أبو شادى ولا يعرف ان حياته الطويلة سلسلة متصلة ، جميع حلقاتها مفاخر وشهادات ناطقة على حبه للشعب وحرصه على هنائه وسعادته وسعيه الحثيث لتحقيق استقلاله . عُرف عنه ذلك وهو شاب يجرى فى عروقه الدم الحار ، وعُرف عنه ذلك وهو رجل تلعب بألباب الرجال أمثاله المطامع وتستهويها الاغراض ، وعُرف عنه ذلك وهو شيخ متهدم يزحف الى القبر زحفاً فما كان فى دور من هذه الادوار الا مثلا أعلى والا صورة من أكرم الصور فى سلامة العقيد وقوة الايمان .

والمحاماة والقضاء ، ما ذا نجد لهما من كلمات العزاء فى ذلك الجلد الذى يقضى الساعات الطوال فى الدرس والفحص فلا يحسُّ اعياء ولا يتطرق اليه ملل ، وفى ذلك اللسان الفصيح الذى يلوك الغامض المعقد فيجلوه عليك بياناً سهلا وماء جارياً ، وفى ذلك الذكاء المتقد وذلك الخاطر الملتهب يبادر به القضاء فى المشكلات التى تلوح . وفى تلك الفكاهة العذبة يمزجها بالجدِّ فيروِّح بها عن نفسه وعن القاضى وعن جميع سامعيه ؟! ان ذلك كله حاضر فى أذهان المحامين والقضاة جميعاً ولهم فى ذلك أجمل العزاء .

أما صداقته ووفاؤه وحسن عشرته وحلاوة حديثه وبره وعطفه فمعروفة للاقربين والابعدين وهى فى المستوى الذى يجل فيه الخطب ويفتقد الرائى الرثاء فلا يجده ولا يستطيعه . فالى الجنة يا أبو شادى ، والشعب والمحاماة والقضاء والصفات الفاضلة الطاهرة عن الرزء بفقدك كله أجمل العزاء .

***

توفى رحمة الله عليه فى فجر الاثنين ولم تشرق شمس هذا اليوم الاغبر حتى كان نبأ نعيه قد ذاع بين المعارف والاصدقاء فوفدوا الى داره فى شارع الخليج المصرى فى غمرة باكين هـذه الشمائل الحلوة ومباركين هـذه الروح الطاهرة وهى تودع دنياها وتصعد الى خالقها راضية مرضية . ونقل النبأ المفجع الى المحاكم فعطلت جلساتها حداداً على فقيد المحاماة والقضاء والقانون . وستشيع جنازته بين الاسى الممض والحزن الفاجع من داره فى الساعة الخامسة من مساء اليوم «الاثنين» تغمده الله بجليل الرحمة وألهم ولده الدكتور أحمد زكى أبو شادى وأسرته والبلاد جميعاً الصبر والعزاء .

(٦) رثاء كوكب الشرق

اليوم دك القضاء ركناً من أركان الأمة ، وطوى علماً من أعلامها الخفاقة ، وحطم شبات حسام من أمضى أسلحتها ، إذ استأثرت المنية بالعصامى الكبير ، والمحامى القدير ، والخطيب الذى طالما هز أعواد المنابر ، الاستاذ المرحوم الخالد الأثر محمد بك أبو شادى .

كان المرحوم أبو شادى بك صحفياً من أعظم رجال الاقلام فى مصر ، ومحامياً كبيراً له فخر الاستاذية على نخبة من كبار رجال المحاماة فى مصر ، وكان تاريخه متصلا بتاريخ المحاماة ومجهوده فيها مجهود الرجل الذى يختص أبناء طائفته وأسرته بأبر ما فى صدره من عواطف الاخلاص والحب . ولقد امتاز بأخلاق رقيقة ، وعرف بين أبناء الوطن كلهم بالوداعة وجمال الروح . وكان شعلة من الاخلاص ، ومثلا من أمثلة الوطنية الحية التى تصارع الظروف والحوادث الجسام ولا تنى دون أن تقهرها وتتغلب عليها . . . وما نستطيع أن نوفى « أبا شادى » حقه اذا أردنا

أن ننوه بأعماله فى الحركة الوطنية والمجهودات التى بذلها رغم ما كان يصيبه من الحوادث وينتابه من الآلام وهو صابر مطمئن الجنان ثابت اليقين تتهاوى الناس حواليه عند صخرة اليأس ولا يزيده ذلك إلا ثباتاً ومضياً فى سبيل الجهاد القومى .

كان نقيباً للمحاماة فعرف الكل بلاءه فى خدمة المحاماه ، وعضواً فى مجلس النواب السابق ، ورجلا من رجالات الاصلاح ، فقدناه ونحن فى أشد مواقف الجهاد .

ونحن نتقدم بخالص التعزية لجميع أفراد أسرة الفقيد الكريم خاصة ، وللأمة المصرية عامة ، فقد كان ابنها المخلص البار الذى ترك لها سيرة ملأى بالأمثال فى التضحية والاخلاص والفناء فى حب الوطن .

كلمة حق عن فقيد عظيم

للكاتب الانمى الكبير الاستاذ لطفى جمعة

نشرت فى صحيفة (الاهرام) المؤرخة أول يولية سنة ١٩٢٥

فوجئت مصر الاسيفة بنعى المغفور له الاستاذ محمد بك أبو شادى نقيب المحامين وعضو مجلس النواب عن دائرة الخليفة سابقاً فكان لنعيه رنة حزن فى افئدة جميع من عرفوه . وكل القطر المصرى يعرفه محامياً فصيحاً وخطيباً مقتدراً قد تخرج فى الازهر الشريف واشتغل بالمحاماة والصحافة والسياسة والادب ، وكان شاعراً بليغاً يقول الشعر ارتجالا فى أعظم الاحيان . وقد ذاعت شهرته اولا فى الوجه القبلى وانفرد بالنبوغ فى الدفاع فى القضايا الجنائية ، وانتقل الى القاهرة فى أوائل هذا القرن فسبقته شهرته وزادها فى زمن قليل بما أوتى من ذكاء فطرى وقدرة على العمل . وكان فى مرافعاته حاضر البديهة قوى الذهن لاتفوته صغيرة ولا كبيرة ولا يمل سامعه مهما طال موقفه . وقد أسس فى سنة ١٩٠٣ جريدة «الظاهر» على المبادىء الوطنية الحرة وجعل لها فى زمن قصير شهرة ذائعة بفضل المقالات التى كان يدبجها فى السياسة المحلية والمسائل الدينية والأدبية . وقد أبلى بلاء حسناً فى حادثتى دنشواى وافتتاح بورت سودان ، وكان له جانب مع الله لم يضيعه فكان متصوفاً وشيخ سجادة السادة الأحمدية . ولما نهضت مصر نهضتها الأخيرة كان فى مقدمة المشتغلين بالقضية المصرية ، وقد أصابه المرض الأخير بسبب تحمله مشاق السفر بالسيارة من أقصى البلاد إلى اقصاها فى سبيل مناصرة اخوانه ورجال حزبه فى الانتخابات . وكان على الرغم من عدم علمه باللغات الأجنبية لايقل ادراكا وذوقاً عن متقنها ، وكثيراً ماصاغ فى مرافعاته مبادىء قانونية ثابتة فى كتب القانون الأجنبية لم يطلع عليها ولكن هداه اليها ذكاؤه المفرط وطول اختباره وتجاريبه . وكان والداً باراً فقد بذل أعظم مجهود فى تربية ولده الوحيد حتى بلغ أرقى درجات العلم فى أوربا . وكان سلوكه مع القضاء مزيجاً من الاحترام وحفظ الكرامة . أما أخلاقه مع زملائه وأبناء مهنته فكانت دائماً على وتيرة واحدة وهى الاخلاص والصداقة ودوام المودة . ولم يقصر يوماً فى انتصاف لمظلوم والأخذ بناصر

الضعيف والفقير . ومن غرائب الصدف أن وفاته جاءت فى ختام السنة القضائية فكأن نفسه المشربة بحب الواجب وحب صنعته أبت أن تفارق العالم الثانى الا فى الوقت الذى يؤذن فيه للمحامين بالراحة ! ولكن راحته أبدية ، ويحسن بهيئة مجلس النقابة الموقرة أن تقيم له حفلة تأبين اقراراً بفضله وتخليداً لذكره ، فقد كان من صفاته أن يحبه كلُّ من عاشره ، وأكبر دليل على ذلك وفاء حضرة وكيله محمد أفندى العروسى الذى أخلص له فى صحته ومرضه ووفاته ، وضرب باخلاصه ووفائه مثلا يقتدى به ، فرحمة الله على هذا الفقيد الجليل وعزاء لولده وأصدقائه وجميع من خدمهم بعلمه وأدبه .

كلمة الجمعية المصرية فى برلين

عن « البلاغ » المؤرخ ٢٣ يولية سنة ١٩٢٥

وافانا البريد بالنبأ الذى ذهب بالحزن من نفوسنا كلَّ مذهب بنعى فقيد الوطن أبى شادى ، فكادت تميد بنا الارض الفضاء وكدنا لانصدق الخبر لهوله !

فهل حقاً هوى ذلك النجم الساطع فى سماء الوطنية الذى كان ينفذ شعاعه الى القلوب فيملؤها إيماناً ويفيض عليها يقيناً ؟! وهل أسكت ذلك اللسان القوال الذى كان السيف العضب مضاء والسحر الحلال بياناً والسهم الى قلوب الاعداء نفاذاً ؟! وهل سكت ذلك القلب الذى كان ينبض بحب مصر ويخفق بخيرها ويسبح بحمد الله وحمدها ؟ ! وهل ووارى التراب ذلك الشيخ الاروع والفؤاد الاصمع وتلك النفس الزكية وذلك الخلق الكريم وتلك الوداعة وتانكم التضحية والشجاعة وذلك التفانى فى حب مصر والاخلاص فى خدمتها ؟ ! كذا فليجل الخطب وليفدح الامر ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ولو استعرضنا حياة أبى شادى مارأينا إلا كرماً وطهارة ، والا صحائف بيضاً مملوءة بجهاد متواصل ، وماضياً يخلد لصاحبه الذكر العاطر والاثر الحميد ، فقد عرفناه أحد نفر قليل بل فى مقدمتهم وضع الحجر الأول فى أساس المحاماة فرفع من ضعتها وأعزَّ من شأنها ، وعرفناه خطيبا ينساب انسياب النهر السلسبيل ويندفع اندفاع السيل وينساغ كلامه انسياغ الريق ويبلغ مايريد أن يبلغه من نفوس الجماعات من خاصة وعامة ، وما ننسى لأنسى استشهاده فى كلامه بالبيت والبيتين من الشعر أحكم استشهاد وأحسنه موقعاً مما لايستطيعه الا هو . عرفناه فى الصف الأول من العاملين فى الحركة الوطنية لم يدخر فيها مالا ولم يأل فيها مجهوداً بل نصر الوطن بقلبه ولسانه ونفسه وما يملك . بذل كل ذلك عن سخاء ولم تحدثه نفسه يوماً أن يتردد فى البذل أو يمسك عن العطاء ، ولم يبخل حتى براحة جسده الضعيف وصحته السقيمة . ففى سبيل أمته والوطن ماجاهد ذلك الشيخ : كان يحمل جسمه المتهدم الأركان فوق ما فى وسعه أن يحمل فكان محارباً كعشرة من المحاربين ، ولم يقعد بهمته ما كان يلاقى من اضطهاد ويقاسى من سجن ويعانى من ضنى ، فنصر زعيمه وقضية بلاده آزر نصر وآكده .

ذكرى أبى شادى بك

فى بورسعيد

(عن جريدة « كوكب الشرق »)

أقيمت فى بور سعيد مساء الاثنين ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٦ حفلة جامعة لذكرى مرور عام على وفاة المغفور له فقيد الوطنية المصرية والقانون والأدب والصحافة الأستاذ الكبير محمد أبى شادى بك ، فحضرها ممثلو جميع الطبقات الوطنية بالمدينة ، وكان فى مقدمة الحاضرين سعادة اسماعيل باشا رمزى محافظ القنال ، وصاحب العزة عمر بك وهبي وكيل المحافظ ، والكثيرون من الأطباء والمحامين والتجار والأدباء . وقد تبارى حضرات الخطباء فى تعداد مآثر الفقيد وما اشتهر به من الاسراف فى التضحية براً بوطنه ، وما عُرف عنه من الكرم الحاتمى ، ومن عظيم السجايا ومكارم الاخلاق ، ومن العبقرية الفذة التى تركت له آثاراً طيبة فى ميادين شتى من جهاده الصالح ، فقد كان شيخ المحاماة فى وقته ، ذا نبوغ ممتاز وحجة مشهورة وآراء قانونية سليمة اقتبس منها نوابغ تلاميذه الكثيرين ، وكان خطيباً مفوهاً رفيع المنزلة حلو الفكاهة تخلب ألباب الجماهير بلاغته وصوته الرنان وحماسته المتدفقة ، وكان صحفياً قديراً أبدع فى عصره أسلوباً للصحافة الوطنية القيمة بجريدتيه (الظاهر) و (الامام) ، و بما كان يتحف به متنوع الصحف من مقالات شائقة فى السياسة والأدب والاجتماع حتى أواخر أيامه ، وكان سياسياً ضليعاً من أقطاب رجال الوفد ، بل ممن خاضوا غمار الحركة السياسية زهاء نصف قرن ، أى منذ الحركة العرابية ، متعرضاً لصنوف التضحيات والمغارم فى سبيل أمته ، وكان رجلا شهماً يعرف ما هو الحلم والشرف والتسامح العام والمروءة ونصرة المخذول والضعيف وتلبية المستجير بانسانيته .

وقد أجاد جميع الخطباء لانهم عبروا عن عواطف صادقة فكانت لعباراتهم ولشعرهم غاية التأثير فى نفوس المجتمعين . ولبورسعيد شهرة بين عواصم القطر لمنزلة ادبائها ، فتقدم منهم للرثاء أفاضل نذكر منهم حضرات الاساتذة عبدالعظيم حجاب وعبدالله بكرى وحامد الالفى وعلى محمد الالفى ومصطفى حسن ، فوفوا الفقيد حقه من التقدير البليغ وأنصفوا الادب ببيانهم المؤثر .

أستاذنا أبو شادى

(من رثاء بليغ فى « البلاغ » المؤرخ أول يولية سنة ١٩٢٥)

لم أهل الوداد بعدهم * يسلم للحزن لا لتخليد
فان صبرنا فمعشر صبر * وان جزعنا فغير مردود
فما ترجى النفوس من زمن
أحمد حاليه غير محمود ؟!
(المتنبي)

أيها القلم ! أراغب أنت عن الكتابة حزناً وأسى وحرقة واكتئاباً ؟ أربعة ملكوا عليك نفسك المشدوهة فعقلوك عن الحراك وعقلوها ، وأسلموك الى السكوت والسكون كما أسلموها . . . أم أنت مطاوعى وأنا المعصى المفؤود ، ومسالمى وأنا المحارب المنكود ، ومسعفى وأنا الشقى الطريد — وما الطواعية علم الله — ولا المسالمة والمساعفة إلا أن تؤدى لسيدك ومسخرك فى الدفاع عن وادى النيل المقدس حق الربيب للمربوب والصاحب للمصحوب والحب للمحبوب ، وماخير ود لا يعبر اللفظ عنه أيها القلم الا أن يكون أخرس أو حب يسد على المرء مذاهبه فلا يستطيع معه أن يترجم عما يكنه وجدانه وجنانه الا أن يكون فيه إيذاؤه وتهلكته ... ولو كان الهلك يرد ميتاً لهلكنا لردك ، أو يصيبك منه أجر حسن فى الدار الآخرة لفعلنا رجاء مثوبتك . لكن هيهات أن يفعل ! هيهات !

أيها المنبر! أتبقى كذا أبداً عالياً حتى بعد ان غيب خطيب كبير من خطبائك فى الرمس وتخافت منه صوت كالرعد أجش وسكتت حركته الدائمة وانقطع الحس ، أم أنت باق له بعهدك راع حفاظك ومقيم على ودك ؟ أم أنت منزل من علياء سمائك الى ذياك المستوى الرفيع الذى استقر فيه الآن قراره والبقعة الطيبة المباركة التى أصبحت من الارض داره ؟

الآن أصبح المعنى الواضح سراً غامضاً مستغلقاً ، وذلك القلب المشع الجرىء جيفة نتنة ولقى ! الآن أصبح النور المشع ظلاماً والافصاح الكثير والكلام الطويل سكوتاً وابهاماً ! الآن قر من كان لا يقره قرار ، ودفن تحت أطباق الثرى

من حلقت نفسه فوق الفلك المدار ! الآن قبل الموت شفتين كانتا تبسمان للحياة ابتسامة السخرية ، وظنى بهما الآن أشد استهتاراً بالموت وازدراء ـ الآن لا جدال ولا صيال ولا دعابة ولا تندر ، والى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى !

سمعت بأبى شادى بك قبل ان أعرفه وقرأت له كثيراً قبل ان أرى وجهه الوضاء كمحام كان نابه الذكر جليل القدر واسع الصيت شاسع الشهرة لا يدانى ولا يجارى أو يبارى ـ وكـكاتب كان من المعدودين الذين يجولون فى ميدان الحق ولا يتوخون إلا الصدق ، وكوطنى أى سعدى كان على خصومه العدليين ومن ينحو نحوهم من جماعة الائتلاف المزعوم كالحجارة أو أشد قسوة وكذلك شأن كل سعدى فى هذى السبيل لا يتملق ولا يداهن ولا يقول لك ان الصداقة شىء والمبدأ شىء ثان . ولقد كان أول سماعى بشأنه الوطنى اعتقاله برفح ، فلما عاد ذهبنا لنحييه فرأينا همة لا تنثنى ـ كدنا نلمسها لمساً ـ وأملا لا يكل وجدناه يعدو بصاحبه عدواً ، وداعة فى هوادة وكرم طباع فى نبل مقاصد ، وحسن لقيا فى حلاوة مخبر ، وحلو فكاهة فى مرارة جد . أما فى الانتخاب فلا والله ما من سعدى ركض فى الميدان ركضته ولا شأى شأوه . بل كان النائب الاوحد صاحب القدح المعلى والمشمر عن ساعد الجد والذى لا يقول (حيهلا) ! كان خطيب الجماهير إن احتشدوا والخاصة حيثما وقفوا أو وجدوا . كانت كلمه العذاب ترن فى القلوب قبل الآذان وترتعش منها النفوس قبل الابدان . كان يتـكلم بكل لسان فى كل بيان وفى مختلف الألوان ، وكانت نتيجة هذه المجهودات الوطنية الـكبرى أن اعترى تلك الوردة ـ التى زادتها وفرة السن تضوعاً وكثرة طيوب ـ ذبولا وقتياً . ذبلت من كثرة ما استاف المستافون عبقها .. فراحتجب قبل الافول من شدة ما غشى القلوب والابصار نوره . وهكذا لم يحضر أبو شادى بك الذى له فضل كبير فيما نالت هذه الأمة من نصر أوحكم نيابى جلسات مجلس النواب بل حضر جلسة واحدة لم أره فيها . أما هذا العام فلقد جاهد وضحى براحته وذهب الى المجلس أول يوم الفتح المبين لينتخب سعداً الرئيس الامين .

فوداعاً شيخ المحامين وناصر الضعفاء والمظلومين وداعاً ولتنم هادئاً مطمئناً ! فقد بلغت رسالاتك ، وكنت كذبالة تضىء للناس وهى تحترق ، أو كعمود من الندذاب بخوراً أمام معبد الوطنية المقدس وهيكله المبجل ، أو كتلك القرابين التى يقدمها الربانيون والاحبار للآلهة والمعبودين . وداعاً أيتها النفس الطاهرة المطهرة ، أيها

الجثمان المبارك منها الأطراف التى ما امتدت إلا لفعل الخير ولا سعت إلا له . أيها اللسان الطلق اللاذع الذى طالما قال الحق ولم يخش فيه لومة لائم .

ثم السلام عليك من الوطن الشكور للابن البر الوفى — من الأمة الحزينة المتوجدة للرجل العصامى الذى كوّن نفسه وعمل على تكوين أمته فداهمته المنون ولما يبدأ العمل الذى أراد أن يتم ، من سعد العظيم الذى طالما لهج بذكره لسانك والذى لم يقعد بك عن زيارته وحج بيته المقيم المقعد من مبرّح مرضك ، من شخصى الضعيف بمقدار ما أحبك وأخذ عنك وقفا أثرك وترسم فى الحياة الدنيا خطاك — ثم الى اللقاء وعلى ريث إن كنا سنكون قوة عاملة ذات أثر خالد مثلك وهذا ما نرجوه ، وعلى عجل إن كنا سنسير سيرة الخاملين العاطلين الذين يراءون ويمنعون الماعون وذلك ما لا نبتغيه ؟

حسن بسى

نوادر ابى شادى بك

على ذكر حفلة التأبين التى اقيمت له

بقلم من يعرفه

(عن مجلة « العالم » الصادرة بتاريخ ١٢ يولية سنة ١٩٢٦)

كان المرحوم أبو شادى بك عائداً ذات يوم من الفيوم فلما وصل الى محطة العاصمة ركب المترو قاصداً مصر الجديدة حيث كان يقطن ، وكان قد جلب قفصين من الفاكهة فى احدهما تين وفى الآخر عنب ، فسأله أحد معارفه الافرنج ، وكان جالساً الى جانبه اتفاقاً ، عن مضمون القفصين فأجابه أبو شادى بك أن فيهما تيناً وعنباً من الفيوم . فقال الاجنبي : « لابد اذاً من أن يكون هذان الصنفان جيدين جداً » فقال ابو شادى بك « من دون شك ! » وهنا انتهى الحديث بينهما . . . غير أنه لما وصل المترو الى المحطة التى يريدها ابو شادى بك نهض ونزل من القطار الكهربائى تاركاً وراءه قفصى العنب والتين للافرنجى على سبيل الهدية فدهش الحاضرون لذلك وكنت فى جملتهم ، وبعد قليل قابلت أباشادى بك وسألته عن الباعث له على سلوك المسلك الذى سلكه وخصوصاً أنه أحضر هذه الهدية لعائلته من مكان بعيد وقد كان فى وسعه أن يهدى الى الافرنجى جزءاً منهما ؟ ! فأجابنى : « أليس هذا مصداقاً للمبدأ المصرى القائل : « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا ، فنحن نظهر لهم الكرم لكى يسمحوا لنا بالحرية ! »

* * *

حدث مرة فى قضية من القضايا الهامة أن خصم أبى شادى بك ترافع مدة طويلة جداً ، فلما جاء دور الفقيد فى المرافعة سأله القاضى هل سيترافع طويلا أم سيختصر فى كلامه فأجاب : «سأترافع ثلاث ساعات » فأبدى القاضى دهشته ، فقال له أبو شادى بك على الفور : « لماذا يتولاك الاستغراب ياحضرة القاضى ؟ ! ان زميلى ترافع ساعتين فلابد لى من ان أترافع ثلاث ساعات ، لانه اذا قال لك أحدهم : « السلام عليكم » فأنت ترد عليه بقولك : « عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ! »

* * *

فى سنة ١٩٠٥ ، قدم مصر صحافى بلجيكى اسمه المسيو دى جورفيل وقابل

كثيرين من عظمائها محدثاً إياهم عن أحوالها وشؤونها ، وكان بين الذين حادثهم البرنسس نازلى ، وكانت تقطن يومئذ فى قصرها خلف سراى عابدين ، فلما سألها عن رأيها فى شبان مصر أجابت : « إنهم لا يستحقون ثمن الحبل الذى يشنقون به ! » فلما ظهرت هذه العبارة فى الكتاب الذى نشره دى جورفيل باسم « مصر الجديدة » وضمنه الأحاديث التى دارت بينه وبين من ذكرنا انبرى ابو شادى بك للرد عليها ردوداً بليغة فى جريدة « الظاهر » وسعى فى ترجمتها الى اللغة الانكليزية في جريدة « الاجبشن غازيت » فذاعت المسألة وشاعت واضطرت المرحومة البرنسس نازلى إلى الاعتذار عن عبارتها وأصبحت من ذلك الحين من كبريات المعضدات للحركة الوطنية .

***

كان أبو شادى بك يترافع يوماً فى قضية جنائية فقال فى مرافعته . « إن المتهم رجل طيب القلب وشريف العواطف ومستقيم السيرة وكريم الأخلاق وليس عليه غبار وقد ذهب ضحية مكيدة كيدت له » وبالاختصار صوّره صورة جميلة جداً عن عقيدة واقتناع . فقال له القاضى ، وكان لبقاً ظريفاً : « نحن طبعاً ياحضرة أبو شادى بك سنقرر منح موكلك نيشان الفضيلة بعد حكم البراءة ! » — وفعلا حكم ببراءته .

***

اشتهر المرحوم أبو شادى بك بالفصاحة وحضور البديهة وقوة المعارضة وخصوصاً فى الدفاع فى القضايا الجنائية حتى أن كبار المجرمين فى مديريتى أسيوط وقنا كان الواحد منهم يهدد غريمه بالعبارة التالية : « والله لأقتلك وأبيع نصف فدان واروح لولد شادى ! » اعتقاداً منه بأن المرحوم كان ببراعته وحذاقته يقلب الباطل حقاً ، والحقيقة أن هذه فكرة تنشأ فى ذهن الجهلاء عمن يشتهر من المحامين كالمسيو جول فافر فى فرنسا ، فان كبار المجرمين الفرنسويين كانوا يذكرون اسمه وهم يطلقون الرصاص على ضحاياهم !

***

كان الفقيد يدافع مرة عن امرأة اتهمت بدسّ السم لزوجها لأنه أخذ عليها ضرة فلما جاء دور مرافعته سأل الضرة بطريقة لبقة قائلا : « افرضى أنك عشت مع زوجك عشرين سنة وأنه خلف منك أولاداً ثم تزوج عليك فماذا كنت تفعلين ؟ » فأجابت وهى لا تعلم أهمية السؤال والجواب : « والنبي ياأفندى كنت أمرط رقبته مرط ! » فكان لهذا الجواب وقع عظيم وحكمت المحكمة على القاتلة حكماً مخففاً !

مرثية حافظ ابراهيم بك

عجبتُ أن جعلوا يوما لذكراكا
كأنّنا قد نسينا يوم مثواكا

إذا سألت يا الباشا دموعَ طوتْهُ
ذكرى الهول فيض أنا عصرونا كا

في ليلة النيل والوادي وساكنِهِ
جفّ لصوتك موصول يذكراكا

قد عشت فينا نميرا طاب مورده
أسمى سجايا الفتى أدنى سجايا كا

فما كأولاك ربّ دنى كرم
أولى كريم ولا عتبى كعتبا كا

نفسيَ الوحش العيون قد ملأ
أنحاء نفسك شغلاً عن قضايانا
أربيت فيلق ملأ المخاصر لا
وكان سرحك أني شئت فتكا
أجملت ما فصلوه في قصايدهم
منى لقد نضروا بالحمد مثوانا
لم يبقِ لي قيد شبرٍ صاحباي ولم
يسعَ لي القول لا هذا ولا ذاكا
يا مدمن الذكر والتسبيح حسبنا
هذا الذي قد جاورت مولاكا
لو لم تكن لك في دنياك مفخرة
سوى ركنيَّ لقد جملت دنياكا

﴿ رسالة الاستاذين كرد علي والمغربي ﴾

إلى الدكتور أبو شادي

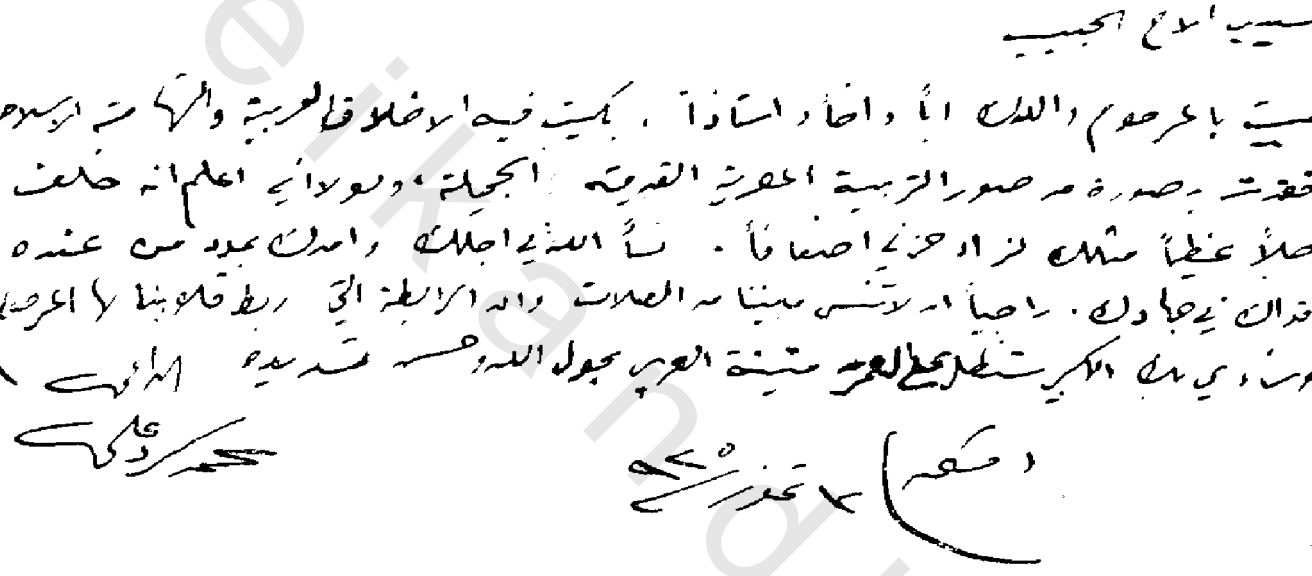

﴿ رسالة صادق حنين باشا ﴾

LÉGATION ROYALE D'ÉGYPTE
MADRID

سان سباستيان فى ١٢ يوليو سنة ١٩٢٥

عزيزى الدكتور ابو شادى

تصلنى جرائد مصر منقطعة بغير انتظام ولذا لم اعلم بخبر
المهاب القومى الفادح فى ابيك العزيز الا عند تلاوة قصيدتك فى رثائه
هذا الصباح فكبر على المخطب فى هذا الرجل الكبير الذى كان منى
بمنزلة الاب لما كان يشتمل عليه من الوفاء والصفات الفاضلة والطبيعة المجردة من
كل مطمع الا لسعادة محمد سوء الجاب ومجلبة سوء الكباب وشتاناً للغاء

اذن فعلى اشتد بك الجزع ايها الصديق اذكر ان المصريين كافة
يشاطرونك اسى على فقيد عظيم ستبقى ذكراه قائمة بينهم فى صميم
الايام والسلام ٢ المخلص

صادق

مرثية الأستاذ الكاظمى

أملاها على أحد عُوّاده

تحيةٌ وسلامٌ يا (أبا شادى) عليك من مُهج حَرَّى وأكباد
غادرتها نهب وجد شب لا عجهُ وعفتها طعم نار ذات ايقاد
والنار تأكل ما تلقاه من أثر متى تشب لظاها بعد إخماد
هل بعد وافين أمجاد يكلفنى دهرى الوفاءَ لقوم غير أمجاد ؟!
وهل كغيبة أحبابى إذا بعدوا خطب يرنق إصدارى وإيرادى
خطب تنكر ماضيه وحاضره فحال ما بين انشائى وانشادى
خطب ألم بآمالى ففاجأها من بعد فتحى لبابيها بايصاد
لولا الشرايين تطغى كل آونة ما صدَّنى عن منال القصد قُصَّادى !
يرضى ويغضب والآمال ساخطة تأهبى لتلافيها وإعدادى
ورب بالغ قصد عز مبلغه من غير ما نصب فيه واجهاد

* * *

يأساً من القرب إذ لم يبق لى طمعٌ فى القرب من أغلبٍ بالنفس جوَّاد
ليث تولاه اذا أوفت سنابله فى خيسه هادم الدنيا بحصاد
فراح طرفى طليقاً فى منابعه وراح قلبى أسيراً بين أصفاد
قالوا : تولى (أبو شادى) على عجل فقلت : لا ، بل تولى خير أعضادى
لم يخل عام ولكن قد خات حقب فى عامه من تباشير وأعياد !
عجبت للجبل العالى وذروته فوق النجوم هوى تحت الثرى الهادى
كيف انطوى الطود يحوى كل مكرمة ملء الفجاج سناها طى ابراد
أمسى (أبو أحمد) والخير فى حفر أمست قراراً لاعلام وأطواد
ياأيها البطل الفياض مربعه فى غير روضك شعرى غير مرتاد
اذا تزوّد من زاد أخو سفر ففى التقى خير ما زوّدت من زاد
قل للذى جهل الدنيا ورقدتها وعاش ما بين جهال ورقاد :
يغنيك عن واعظ الدنيا ومرشدها ما فى المنية من وعظ وإرشاد !
كيف السلامة والأيام آخذة مدى الزيادة من كيد واحقاد ؟
كيف السلامة فى اللأواء من قدر لا حاضر سالم منه ولا بادى

لينثن الدهر ولتنأدّ جوابه ... ان السبيل قويمٌ غيرُ منآد
ولتأخذنّ خطى الأحياء مأخذها ... إن الردى واقف منها بمرصاد
ما أسرع الحتف للمخلوق من نطف ... كأنما الحتف مقرون بميلاد!
الحر فى مشرق الدنيا ومغربها ... دريئة لسهام الازلم العادى
وذو الفضائل لم تسلم مقاتله ... من نطق لوّامه أو عين حُسّاد
كذاك كان (أبو شادى) فلا عجب ... إذا الخطوب تولته بقصاد
يامن فدت نفسه أو طانه كرماً ... هلا فداك لدن حمّ القضا فاد؟
بدأت بالفضل لا تبغى الجزاء به ... عقيدة منك أن الفضل للبادى
أمانة لك عندى لا أخون لها ... عهداً ولا أتعدّاها بارصاد
وحرمة لك عندى لست أكذبها ... وعداً ، ولا أثنى عنها بايعاد
ومنة لك فى جيدى عرفت بها ... أطواقَ مَنٍّ توالى فوق أجياد
أصخْ إلىّ تصخ منى ومن قلمى ... إلى شكور لرب الفضل حمّاد
إذا تأخرتُ عن فرض أقوم به ... فقد تقدمت فى بثى وايفادى
ومَن يؤاخذ والأعذار خافية ... فان عذرى مابين الملا باد
مَن أنت يامن قرى الأضياف راحته ... وراد فى شرف الجدوى بارفاد ؟!
ألست مَن لايخاف الدهر فى جلل ... ولا تراع بابراق وإرعاد ؟!
ما بالك اليوم لاتصغى إلى كلفٍ ... ولا تجيب نداء المدنف الصادى ؟!
أأنت فى مصر تسعى دون بغيتها ... أم أنت فى رفح تهزا بابعاد ؟!
ناعيك إن حزّ فى مصر وساكنها ... ففى دمشق صدًى منه وبغداد
مقدار علمك بالأشياء علمنا ... أن المقادير لا تأتى بميعاد!
حياة مثلك طول الدهر خالدة ... وليس موتك إلا موت وفاد
لك الألوف تعالياً ومكرمة ... اذا أتى صاحب الحسنى بآحاد!
أضحى مريدوك فى ساحات محنتهم ... كالجيش يغشى الوغى من غير قوّاد!
آراؤهم وقفت فى كل معضلة ... كما الظبى بين تجريد وإغماد
يهنيك قومك أن يمسى تآلفهم ... فينا تآلف أرواح وأجساد
فكلهم صارم فى كل قاصمة ... وكلهم لأمة فى كل اقصاد
شملان من ثقة فى مصر قد جُمِعا ... لا روّع الله شمليْها ببدّاد!

***

هنا : لاكَ اليومَ أندادٌ لك احتفلوا ... وها هناك احتفال عند أضداد ؟!
مَن ذا رأى قبل هذا اليوم مجتمعاً ... فى المنزلين لاضداد وأنداد ؟!
سلوا الرئيس : بمن ذا جاء محتفلا ... بمبدأ حادث أم مبدأ عادى ؟
مِن جيش سعد ومن قواد جحفله ... ذاك الذى جاءه سعد بميعاد
وليس قائدنا الاعلى بمنتصر ... لولا تعاون قوّاد وأجناد
يا مَن أمدّك زغلول بهمته ... هل أنت مفتقر يوماً لامداد ؟
ومَن يكن ركنه سعد فمخطمه ... لمفزعات الليالى غير منقاد
شاخت سنوه وما شاخت همامته ... مَن لم يلن عوده يوماً لخضّاد
كالرمح يزداد حسناً فى تأوّده ... والسيف بدّل اغماداً باغماد !

* * *

صحيفة (الظاهر) استجلت ظواهرها ... عن باطن الخلق من ضيم ومن عاد
قد كان عرضك موفوراً بها شمماً ... وكان مالك منها نهبَ قصّاد !

* * *

سلوا المحامين كم حامى نقيبهمُ ... عن الحقوق وكم لبى لانجاد ؟
فى كل معترك فازت قواصده ... بمقولٍ منه دون الحق ذوّاد
ولم يكن عنده فى الحق تسأله ... مِن فارق بين افراد وافراد ؟

* * *

أين الطريرُ اذا كانت عزائمنا ... أمسى لحدّ ظباها خيرَ حدّاد ؟
أين الأديبُ الذى إبداعه عبَقٌ ... للناطقين من الافصاح بالضاد ؟
أين الكريمُ الذى عمت فواضله ... فكان موئل وُرّاد ورُوّاد ؟
أين العزوفُ الذى ساعات عزلته ... كانت عناوين تذكار وأوراد ؟
أين الطروبُ الى الآيات من كلمى ... وبلبلُ الشرق يشدو فوق أعواد ؟
يا من غدوت ويا من رحت مدّكراً ... حديثك اليوم ذكر الرائح الغادى
قد سار فى كل ما ترجوه من أمل ... عبيرُ ذكرك من نادٍ الى ناد
حدوا بذكرك فى سر وفى علن ... وأطيب الذكر ما يحدو به الحادى
عدّوا بشخصك فرداً لا نظير له ... فى حين فعلك لا يحصى بعدّاد
بالله لاتذكروا مَن لم يكن أحدٌ ... ينساه فى معضلات الازلم العادى
تثير ذكرى (أبى شادى) لنا شجناً ... لمّا يثرها سوى ذكرى (أبى شادى)!

مرثية الاستاذ محمد فضل اسماعيل

قررت الأحزاب المختلفة بمدينة السويس فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ إقامة حفلة تأبين لفقيد الوطنية المغفور له الأستاذ محمد بك أبوشادى بدار نقابة العمال. ولكن الادارة كانت فى ذلك العهد فى ناحية والأمة فى ناحية أخرى، فقامت ضد إرادتها ومنعت إقامة تلك الحفلة. وقد كتبت جريدة «البلاغ» يوم ذلك فى هذا الصدد مقالا مسهباً عنوانه «حتى الموتى» وكانت هذه القصيدة واحدة من القصائد التى أعدت لتأبين الفقيد، غير أننا لم نعثر عليها برمتها فاكتفينا باثبات ما وقفنا عليه منها:

أطرقْ مليّاً فأنت اليوم مغتربُ ... وأنت من شبح الأجداث مقتربُ
واعلم بأن حياة المرء عارية ... يردّها المرء إمّا جاءه الطلب
بين الفناء وبين الخلد مرحلة ... يسيرها الناس أفواجاً وهم عصب
آجالنا فى صعيد الموت واحدة ... وإن تنوعت الأسباب والعقب
مهما أقمتَ ومهما عشت من عُمر ... فأنت مرتحل والعمر منتهب
فكن كما شاءت الأخلاق مبتعداً ... عما يشين إذا ما قمت تنتسب

***

إذا ذكرتُ فقيد الشعب فلتقفوا ... من خشية الذكر! إن الشعب مضطرب!
فى ذمة الله مَن جئنا نؤبنه ... فكم تبين فى آدابه الحسب
طودٌ إذا أنكرته العين من رمدٍ ... قامت تشير إلى عليائه الشهب
سمحٌ أجلٌّ من الوسمىِّ فى غدق ... تندى يداه إذا ما غامت السحب
عفٌّ السريرة لم تضمر طويته ... غير الوفاء بحصن الدين مؤتشب
أصابه من سهام الموت أصلبها ... وقد أصيب به الاسلام والأدب
فمصر فى جزع، والنيل قد لعبت ... به الشجون وطال اللهو واللعب
ويحَ الكنانة! كم باتت مروعةً ... كأنما هى فى ناموسهم سلب!
تقاذفتها يد الأقدار فانقلبت ... ما بين لج حسير بؤسه عبب
وهكذا الدهر لا يبقى على أحد ... فى العالمين، فنه الويل والحرب

***

قمْ عزّ مصر وعزّ اليومَ نهضتَها ... فقد تقوّض صرحُ المجد والسببُ

مَن للحقوق يواسيها إذا عبثت ... بها الأعاصيب واشتطت بها النوب ؟

مَن للقضية بعد اليوم ينصرها ... مَن للجهاد إذا ما اهتزت القضب ؟

مَن للبيان ومَن للعلم يرفعه ... إذا تنافس فيه العجم والعرب ؟

فاصبر (زكيٌّ) ولا تجزع لحادثة ... فليس مثلك مَن يبكى وينتحب !

تكلم الموتُ فاسمع مِن مواعظه ... مالم تجئك به الأسفار والكتب !

مَن كان مثل (أبى شادى) فسيرتُه ... بيضاء ناصعة لم تأتها الريب

فى جنة الخلدِ شيخٌ راحلٌ وأبٌ ... قدكنتَ مِنه وأنت النسل والعقب

قد جاور الله ، فليسعد برحمتهِ ... فان (رضوان) فى الفردوس يرتقب !

مرثية الاستاذ عبد القادر عاشور

أخى وعزيزى الدكتور أبوشادى : أحييك التحية الخالصة ولا أكذبك اذا قلت إن قريحتى بعد المرض أجبلتْ ، وعشقت الهدوء الكامل والسكون التام ، و بينما روحى فى سكونها ذكرت أيامها الأولى المفعمة بشتى الألوان من الحياة ما بين عواطف وكدوفرح وحزن ونزوع الى مافيه سعادتها المعنوية ، محتقرة زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، مكبرة عظماء الرجال مشوقة إلى أخبارهم ، مرتجفة رجفة الغبطة والسرور عن ذكراهم ، كأن بينها وبين أرواحهم فى عالم الأزل تعارفاً وتآلفاً ، وإن كانت وإياهم فى هذا على حد قول القائل : « أحب الصالحين ولست منهم » . وكان ممن ذكرتهم محمد بك أبو شادى الذى كان له الأثر الكبير فيها إبان الطفولة ولاسيما بعد أن علمت أنه أزهرى عصامى ، وأذكر أنى رأيته مرة وأنا لم أتجاوز بعد الخامسة عشرة يدخل محكمة عابدين الجزئية فتركت الدرسَ وتبعته ، وظلت أرمقه بعين الاكبار والاعجاب حتى انتهى ! وسرت خلفه عقب خروجه من المحكمة حتى فرق بينى وبينه والدى الذى بعد أن قبّلتُ يده قلت له : « هذا هو أبو شادى بك وقد سمعته وهو يترافع ! » . ذكرته وذكرتك وذكرت يوماً وقف فيه شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران يرثيه بقوله :

نبا بك دهرٌ بالأفاضل نابى وبُدِّلتَ قفراً من خصيبِ جنابِ

فحرك ذلك فىّ حب القراءة ونبه عواطفى من رقدتها ، وعمدت الى القصيدة أتلوها المرة بعد المرة حتى ثارت النفس وهاجت هياج الأفعى وقد أزعجها رنين النحاس ، وشعرت بشىء يحثنى على الكتابة فى هذه القصيدة البديعة التى كان وفاء صاحبها وإكباره لصاحبه متألقاً تألقَ السنا .

وكان لى أن أقول إن من ترك هذه الآثار وخلد تلك الآيات من المجد خليق بأن يكون بين ثنايا القلوب مستقره ، وفى صميم الأفئدة منزلته ، فهو لبس بنابٍ وما الجسم الاوعاء ، وروح أبى شادى إن لم تغذ أرواحاً كثيرة فهى فى عالمها ناعمة مخصبة ، جزاء لها على ماقدمت ، وفى كل فضيلة له آية يرى من خلالها ، وقد وقف يجاهد ويناضل ويحسن ويواسى . ولعمرى لقد أخصب اليوم مَن لم يكن مقفراً

بالأمس ، وهل الدنيا بما فيها إلا مستودع الأدران عنده ، وسرعان ما كان يبعد عنه كلّ ماعلق به من حطامها ، مهديا الأثير من لباب عقله ما فيه ثروة لغيره ، ثم ذهب إلى عالم الأثير كما كان ، فكلنا يحيا ويعيش به . وتزداد حيرتى عند ما أقرأ :

برغم العلا أن يمسى الصفوة الألى بنوا شرفات العزّ رهنَ يبابِ

وكيف يكون رهن يباب من فك مرأسره وراح مسرعاً إلى مستقره ، يشرف على الكون بأجمعه ويرى ما لا تراه ، ويحسّ ما لا تحسه ، وهل الروح الا قوة من قوى الله الباقية تدرك كل شيء ولا تدرَك ، ليس لها مكان وإن وجدت فى كل مكان ؟! وإن أراد شاعرنا الجثمان فقد انتهى أيضاً إلى عناصر تنتشر فى الجو فكانت عبيره ، وتغذى بها الكثير من الحيوان والنبات كما تغذى هو من قبل ، وفى ذلك القصاص الذى ذكره الله بقوله « ولكم فى القصاص حياة » . وليس لى بعد هذا أن أوافقه على قوله :

توّلوا فأقوتْ من أنيس قصورهم وباتوا سراة الدهر رغم تراب !

وانه ليعجبنى قوله :

أتقضى (أباشادى) وفى ظنّ من يرَى زُهورَكَ أن النجم قبلك خابى ؟!

الظن هنا بمعنى اليقين ، ويكون المعنى : إن من يرى تلألؤك الذى يفوق تلألؤ النجم يتيقن أنه لشدته لن يذهب أو يتغير الا بعد أن يخبو النجم ، وخبو النجم كما تعلم بعيد بل هو باق مابقى الدهر ، والنتيجة حينئذ أن أبا شادى باق الى ماشاء الله حتى جثمانه لأنه مادة والمادة لا تنعدم ولا تتجدد ، وهذا ما أردت اثباته بادئ ذى بدء ، كما أنى لم أشأ أن يكون رهن يَباب أو ينأى لغير مآب .

وتقبّل من محبك المخلص وافر تحياته وعزائه ؟

٣٠ مايو سنة ١٩٢٧ عبد القادر عاشور

مرثية الأستاذ جورج قلادة

أكذا تُصاب الشمس فى الآراد ؟ ! أكذا تميد شوامخ الأطواد ؟ !
أكذا يحط البدر عن عليائه ويميل بالشهب القضاء العادى ؟ !
أكذا يغيب النجم أبلج ثاقباً ؟ ! ويضل بالركب الطليح الحادى ؟ !
ما كنت أشهد قبل نعش محمد «طوروس» محمولاً على الأعواد !
رحل الغيور على العشير وعافنا فى جد حاجتنا الى الإرفاد
لهفى عليه ، ولهف قومى ، هامداً فى لحده كالبيض فى الأغماد !
ما كان أحوجنا لمثل يراعة فى كفه فياضة الأمداد
ونوافذٍ من رأيه كانت لدى داجى الحوادث كالمنار الهادى
وعزائم فى برده لا يحتوى أمثالها بردٌ من الأبراد
ما بال (مصر) قد تجال ريفها وصعيدها من بعده بسواد ؟!
ما بالها إن أسعدت بمؤازر عجمات عليه نوازلٌ وعواد ؟!
قد كان مدَّخراً لكل عظيمة وكريهة ومعاندٍ ومعاد
واليومَ صار على اقتراب محله فى بيته المحلال أبعدَ غاد
نمْ أو تيقظ ، فالحوادث للورى يقظانة والموت بالمرصاد
وكن الأراك أو الغضا ، لا بد أن يلقاك منجل ذلك الحصاد !
غازٍ شديدُ البطش يخبط مسدفاً من يحتضنه يضعه فى الأصفاد !
كم عنده — لو يكشف البصر الثرى — من أصيد أمسى عفير رماد
ومقلب أعطافه بعد الحبى ر على حصى وجلامد وقتاد
ومقرطق نهب القلوب جماله نهب البلى من قدّه المياد
ومحارب دفع الألوف وغاله تحت الثرى الدود الضعيف الآد !

* * *

ردّوا التراب على شهيد وفائه ورجائه وجهاده المتمادى !
لا تبرزوا للناس نبلَ (محمد) مهما بدا خلف الستائر باد !

فاربما بُهروا نخروا سجداً رغم المنية لليقين النادى ! (١)
ودعوه فى دار الطهارة هادئاً حراً ! كفاه جوى وطول سهاد !
كم ليلة أحيا دُجاها قائماً يرعى حقوق رفاقه الهجّاد
يأبى الرقادَ وبعضَ تسهيد لهم ما كان طبع المجد طوع رقاد
ما زال يدأب جاهداً حتى قضى فى حبِّ واديه شهيدَ جهاد
غالته همتُه وكانت آنفاً همم النفوس أذى على الأجساد
وقِفوا على اللحد السرىِّ وطأطئوا فلقد ثوى فيه الامامُ الهادى
وابكوه ليثَ وغى وذخرَ أرامل ومزيلَ شبهات ورمحَ طراد
لاتحسبوا مثواه قبراً ، إنه مثوى أمانى أمة وبلاد !

* * *

ياطاهر الأهواء والإغفاء والـ آراء والآباء والأجداد
نم آمناً ! لا تخش عادية البلى فجليل قدرك لم يكنْ لنفاد
هذى مآثرك العظام ، ومثلها عمرٌ يدوم لآخرِ الآباد !

---

(١) النادى : الجواد .

تأبين أبى شادي بك

فى بور سعيد

حفلة ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٦

مرثية الاستاذ حامد الالفى

قالت بناتُ الشعر : ما لك واجماً ... والطرفُ ساهٍ ؟ قل ! أأنت مريضُ ؟!
فأجبتهن أرى الحياة بغيضةً ... والعيشُ للمتألمين بغيض
النفس عازفة من الهم الذى ... أمسى على وجه الأسيف يفيض
إنى لمبتئس لذكرى آلمت ... وعلىَّ منها بالأسى تحريض
ذكرى (أبى شادى) عليها قد مضى ... عامٌ ، وما لخيامها تقويض
ذكرى فقيد قد بلته أمةٌ ... فاذا به عفّ الازار رحيض
كان المحامى عن قضيتنا بلا ... أجر ؛ ولكن ذكره التعويض
ومعرضاً يضى بمجهود ، وهل ... أضناه إلا ذلك التعريض ؟
ومقيضاً للصالحات ، وإنما ... هى كالكنوز أبانها التقييض !
حتى أقال بلادنا من عثرة ... وجناحها قبل النهوض مهيض
ان المحاماة التى فقدته ما ... فيها له إلا الأيادى البيض
وكذا البطولة ، وهى خالدة لها ... ذكر طويل فى الحمى وعريض
إن الخلود الروحُ . . . أروعُ نابهٍ ... ماءُ الحياة بجسمه سيغيض
ما مات ياقومى أبٌ ميراثه ... طب يعالجه ابنه وقريض !

مرثية الاستاذ عبدالله بكرى

يمرّ العمرُ كالسهمِ ... وما الدنيا سوى وهمِ
وما العيش سوى غرم ... وما الموت سوى غنم !
وهل نحن سوى ركب ... مسوقون على الرغم ؟
أرى الخلد لسباق ... جرىء من أولى العزم
شديد الاسر فى حربٍ ... وديع النفس فى سلم

كريمٌ (كأبى شادى) فقيد الأمة الشهم
له فى قومه رأىٌ سديدٌ دائم الحزم
له فيهم مقامٌ كا نَ أوتيه على علم
له فى عالم الآدا بِ أسمى النثر والنظم
تحلى فى المحاماة بفخر صادرِ الحكم
وفى النهضة رد الحق (م) ممن جار بالهضم
فلم يطلب سوى عدل ولم يدفع سوى ظلم
رمى سهماً مع الرامي ن ، والصائبُ قد يدمى
له شيخوخةٌ قد ذا ق منها أطيب الطعم
وما الصحةُ من عادى الر ردى فى ذاتها تحمى
ولن يسلم مَن يرمى مِن الموت متى يرمى
فولى وهو مختار نقىُّ الروح والجسم !

* * *

مضى عامٌ على ذكرا ه و التذكار كالحكم
وما تأبينه الا تأسّينا مع الحزم
وإظهار لشخصيته بالشعر لا الرسم
فقد قمنا بما يوجبه التقدير للقرم (١)
وعزينا له نجلا خصيب الذهن والفهم
فما مات الذى خلف (م) بل مَن كان ذا عقم
وإن ننس فلا ننـ س (أبا شادى) بغير اسم !
عليه ديمة الرحمة فى روضته تهمى !

---

(١) القرم : السيد.

مرثية الاستاذ على محمد الألفى

صاح ! هيء إلى غدٍ خيرَ زاد فالمنايا روائحٌ وغوادى !
وسهام الحمام مستبقات تنتهى فى القلوب والأكباد
كيفما يتقى الفتى خطر الموت يواتيه صادق الميعاد
رُوِّعت مصر يوم قيل قضى شيخُ المحامين فى الظروف الشداد
عظم الخطبُ فى البلاد ، ولولا أنه الحق لاستشاط الوادى
وجرت أعينُ الأنام دموعاً سال فيها بياضها بالسواد
وتلقى نعيه الناس بالدهش كأن قد نسوا صروف العوادى !
فقدوه ، وكان فيهم رجاء حسبوه ذخيرة الآباد !
إنما الدهر ينتقى للمنايا كلَّ شهم من الرجال جواد
صرعته الردى ، وما كان ظنى أنها تجترى على الأطواد
ودَّ كل لو يفتديه ولكن عارض الموتُ فى قبول المفادى !
لو رأينا إلى الفداء سبيلا ما عبأنا بالمال والأولاد
عجباً للمنون تفجع فيه وطناً كان فيه أكرم هاد !
أتراها تعسفت إذ رأته ينقذ الميتَ من يد الجلاد ؟ !
كان فيهم محمدٌ علماً يهدى علاه الى سبيل الرشاد
كان فرداً كأمة ، وإماماً كمنارٍ ، وقائداً كزياد
قلدته العلا سلاحا من العلم تعالى به عن القوَّاد
وغذاه البيانُ من طيبات الفن ما يزدرى بعلم أياد
بدلت شدوها الحمامُ زفيراً وأقامت عليه عصر حداد !

لم يطب شـدوُها بجنات مصر بعد أن ضم تربُها خير شاد!
آثرت رفعـه السماء اليهـا فأشـارت اليـه بالايفاد
فهـو حيٌّ كميت ، ومـلاكٌ في عـداد المـلائك العبّاد
انما المـوت للعظـيم حياة خلصت من شـوائب الحسّـاد
لا تقل قد قضى (محمـد) فينا وخبا ضوءُ ذكره في البـلاد
فهـو باقٍ ما دام (أحمـد) ينحو نحـوه في مسالك الارشـاد
ورث العـلم والخطابة والشعر وطبَّ القلوبِ والاجسـاد
هكذا تورَثُ المفاخرُ والأخـــلاق عند الأكابر الأمجادِ

نماذج من أدبه

obeikandl.com

obeikandl.com

نثره

سنذكر فيما يلى أمثلة متنوعة لشعر محمد أبو شادى بك ، كما سنذكر مثالا لقدرته الخطابية ، ونستهل هنا نماذج بيانه بمقال له عنوانه « فقدان الخطابة من مصر » مستخرجاً من صحيفة (الظاهر) اليومية المؤرخة ١٨ يونيو سنة ١٩٠٤ أى منذ ثلاثين سنة . ومعروف عن أبى شادى بك أنه كان يملى مقالاته فى غير تكلف ، وان من يدرس أسلوبه النثرى البديع يجده كله نسقاً واحداً من الترسل والسلاسة . فهو أحد ثلاثة من أعلام البيان قضوا على التصنع وزخرفه البديع فى النثر ، ونعنى بالآخرين الامام محمد عبده والشيخ على يوسف ، ولعل محمد أبو شادى بك كان أكثرهم تشبعاً بذوق العصر وأجراهم على الترسل فى أسلوبه . أملى رحمة الله عليه :—

مرّ على خاطرنا تاريخ مصر منذ عشرين سنة — أى عقب أن وطىء المحتلون أرضها — فكنا نتمثل حوادثها الماضية تمثل الكهل النائم عهد الصبابة وعيش الصبا . تذكرنا تلك الأيام حيث كان الشعور الوطنى شديد التمكن من أنفس المصريين ، وحيث كانت آمالنا كأغصان وريقة دانية القطوف ، زاهية الأزاهر ، متضوعة الشذا . تذكرنا تلك الأعوام التى مرت متتابعة سراعاً مرور السحب تزجيها الأعاصير ، أو مرور الأنفاس تدفعها الزفرات المتتالية . وما أذكرناها الا ما كان فيها من النهضة الوطنية التى تهتز لها أجسادنا كلما خطرت سيرتها على البال .

فيا أيتها الأوقات التى تصرمت ، هل لك أن تعودى وتعيدى لنا نهضتنا الأولى التى كانت تمثالنا فى مصاف الأمم الشريفة المشرئبة الى الحرية والاستقلال ؟ نعم ، لقد كنا الى عشر سنوات مضت نعقد الجمعيات العلمية ونؤلف الأحزاب السياسية ويتصدى كتابنا وشعراؤنا وخطباؤنا لتنبيه الهمم واستفزاز النفوس وإحياء العواطف بأقوال تألفت من فقرات الشمم وكلمات تركبت من حروف المجد والآباء . ثم أصبحنا وقد خفتت أصواتنا الا مالبث يتردد من بعض الذين لم ترهبهم البروق ولم يرغبهم البراق ! أين تلك الجمعيات التى كانت توسع دوائر الآداب ، والتى كانت تبحث وتنقب فى ضروب مختلفة من العلوم والفنون ، والتى كانت تشحذ قرائح الخطباء وتجرى ألسنتهم فى ميادين الكلام ؟

لقد كان الكاتب يتفرغ من عمله فى النهار فيذهب إلى مجتمعه فى الليل وقد أعد لنفسه خطاباً يلقيه على إخوانه فى موضوع علمى أو أدبى أو سياسى أو دينى الى غير ذلك ، كما كان الطالب ينتحى المجتمعات متطلباً فائدة يلتقطها أو بيتاً يحفظه أو نكتة يعيها أو حكمة يستهديها أو خطبة ينسج على منوالها وهو يتسمع ألفاظ المتكلمين وهى تتناثر تناثر الطل من أوراق الشجر . فكانت الأفكار تتغذى كل يوم بمادة جديدة ، وكانت الألسنة تجرى كل مساء شوطاً بعيداً ، فلو دامت تلك النهضة إلى الآن ولو بقى رجالها على ما كانوا فيه من الحمية والتلهب غيرة وحماسة لكنا الآن فى غير هذا المركز الحرج الذى تتمالأ علينا فيه دول الغرب ونحن صامتون .

كنا نعهد فى تلك الآونة ان مصر ملأى بالخطباء المصقعين الذين تتدفق أشداقهم بسيل من البلاغة وترتطم شفاههم فى زبد من الحماسة . فأين ذهبوا ؟ وما ذا فعل الدهر بمواهبهم ؟ وهل فجعت مصر بهم أجمعين أم ضرب بينهم الخمول بجرانه فسا كنوه وعاشوا تحت ظلاله هامدين ؟ !

لمَ لا نسمع اليوم من جلبتهم الاذيذة ورنات أصواتهم العذبة الرخيمة إلا نغمة واحدة تتردد ما بين كل آونة وأخرى على فم خطيبنا الفرد سعادة مصطفى كامل باشا ؟

أليس من العار على مصر وقد امتلأت أصقاعها بأكثر من عشرة ملايين من الأنفس أن لا يكون لها من نابغى أبنائها سوى خطيب واحد ؟ !

ماذا يقول عنا الأجانب إذا سمعوا صوت هذا الخطيب وقد بح وأبصروا ريقه وقد جف من كثرة صياحه فى أبناء وطنه مستنهضاً داعياً إلى الرشاد والجد والثبات وطرق أبواب العلم والعمل دون أن يكون له من إخوانه المقتدرين مساعداً ومؤازراً ؟ !

إن اليد الواحدة لا تقوم بعمل كامل ، وان العين الفردة لا تؤدى وظيفة العينين ، والبناء لا يقوم على حجر واحد بل على حجارة كثيرة . فاذا لم يقم فى مصر سوى خطيب واحد لا يسمع صوته المحبوب فى المجتمعات والمحتفلات الا مرة أو مرتين فى العالم هل يرجى لمصر النهوض المنشود فى الزمن العاجل ؟! حاولنا كثيراً أن نعلم السبب الجوهرى لعجز النابغين من المصريين عن الوقوف فى مواقف مصطفى

كامل باشا فلم نر لذلك من سبب سوى كسل المصريين وعدم علمهم بما للخطابة من المكانة الجليلة والمجد الأثيل . واذا كان هذ القصور مما يحط بقدر مصر ويسقط أبناءها من أعين الأجانب وينشىء فى أجل تقدمها سنوات عديدة فقد أحببنا أن نبسط هذه الكلمة الوجيزة عن الخطابة .

الخطابة موهبة طبيعية توجد فى النفس من بادىء نشأتها فتنمو معها كلما نمت ، غير أنها تلبث مجهولة إن لبث صاحبها خاملا ، وقد تظهر فى عالم الشهرة إن عمد صاحبها إلى الاشتهار والظهور .

وفائدة الخطابة لا تنحصر فى ربها ولا تقف عند حد إجلاله وإكباره بل تتخطاه إلى عامة شعبه وأبناء ملته فتهزهم كما يهز التيار الكهربائى مايلتقى به من الاجرام الحساسة المتحركة . فان كانت مقاصد الخطيب متوجهة إلى الأعمال الجليلة والمشروعات النافعة دفعت قلوب سامعيه اليها ، وإن كانت أغراضه منصرفة إلى المفاسد والسيئات تغلبت زلاقته على عواطف مستمعيه فانساقوا معه قسراً .

واليك مثالين على هـذا : فقد أنبتت أمة الرومان على عهد جوليوس قيصر خطيبين بليغين ذربى اللسان مستكملى البيان ، أحدهما تميل فطرته إلى رفعة وطنه وسعادة قومه وهو سيشرون ، وثانيهما مندفع بجبلته إلى الشرور وخراب الاوطان وشق عصا الاتحاد واشعال جذوة العصيان وهذا هو كاتلينا . فأما الأول فقد أبقى له التاريخ ذكراً مؤرجاً ومثالا واضحاً متبلجاً ، حيث وقف فى المجلس يخطب ضد كاتلينا عدو وطنه ومفرق جامعة أمته بقوله : «حتى م نصبر يا كاتلينا ونتحمل الاهانة وأنت لا تنثنى عن غيك ، أتظننا جاهلين مافعلته وما تفعله ؟ ولـكن يا له من عصر تعيس وجيل خبيث يعيش فيه المنافق الخائن ، لا بل يدخل المجلس بوقاحة ليراقب أعماله ويعلم من من أعضائه المجتمعين يلزم اهلاكه ! قد مضى زمن الشجاعة ومحبة الوطن ، كيف لا وبوبليوس سيبيو وهو خارج عن دائرة الحكومة قدر أن يقتل من قبل تيبيريوس غراكس لأنه أراد أن يلقى الشغب بين الشعب ونحن القنصلين رئيسى الجمهورية ومدبرى ممالك الدنيا نترك الآن كاتلينا على قيد الحياة وهو رجل خائن يريد أن يهلك العالم بالقتل والحريق !

أيها الآباء اننى طبعت على الشفقة ، ولـكن ضميرى يوبخنى على التوانى والاهمال فى وقت أصبحت فيه بلادنا محاطة بالاخطار الهائلة فاعلموا أن عدونا الألد الذى هو

مقيم داخل أسوار المدينة قد جهز جيشاً جراراً يزداد كل يوم عدداً وعدداً وهو محتل الديار الاتروية ومستعد للقتال ، الخ » .

وأما الثانى فقدحفظ له التاريخ ذكراً ذميماً . واستجرعليه أبدالدهر سخطاً عظيماً لأنه جمع حوله نفراً من الشبان وممن لا عمل لهم ووقف يخطب فيهم حاضاً على القتل والنهب وحرق روما بقوله : « قد ساءت ياقوم أحوالنا وأصبح زمام الأحكام بأيدى بعض أنفس ظالمين يتسلطون على أمم الأرض ويتمتعون بالأموال التى يسلبونها الملوك والأمراء غير مبالين بالشعب كأن الشعب عبد خاضع طوعاً أو كرهاً لما ينهون عنه ويأمرون به ، فهبوا نخلع ثوب الذل ونمت شرفاء فى ساحة القتال أو نبلغ المنى ، واعلموا أن نجاحنا قريب وأكيد ، وأن الحرية والاموال والفخار هى ثمر الانتصار فبادروا إلى اجتناء ماطالما تمنيتموه» . فهذان الخطيبان المتدفقان كان يتنازعان قلوب الأمة بفصاحتهما وذلاقة لسانيهما وتأثير صوتيهما حتى انشعبت الأمة لعهدهما الى شعبتين ، وكان الفوز لسيشرون المخلص لوطنه والمتفانى فى محبة ملته .

وإذا شئت أن تعرف كيف تؤثر الخطب البليغة فى قلوب الناس فارجع الى وقعة ذى قار لترى هانىء بن مسعود وقد وقف فى قبيلة بكر بن وائل يحثها على مقاتلة جيوش كسرى من عرب وعجم بقوله « ياقوم مهلك معذور خير من منجى مغرور ، وان الجزع لا يرد القدر وان الصبر من أسباب الظفر ، والمنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد فما من الموت بدٌ ! » فانتصرت هذه القبيلة على جيوش كسرى الجرارة ومن والاها من قبائل العرب بما بعثه هانىء فى رجالها من الحماسة والنخوة بقوله هذا .

ومن أراد أن يعرف ما للخطابة من التأثير فوق ذلك قلنا له إن لويس السادس عشر وزوجه وولده بقوا أحياء مصونين من غارة الشعب الفرنسوى مدة حياة ميرابو لأنه حارب الملكية فى آخر حياته وانتصر لها انتصاراً كبيراً ، فلما مات ميرابو وتلاشى صوته المؤثر انبرى لامارتين لتأييد الشعب فى مطالبه وجاهر بتفضيل الحكومة الجمهورية فأدت خطبته إلى قتل الملك وأهله وولده ، وفوق هذا كلنا لاننسى خطب غلادستون وسلسبورى . وهل يجهل المصريون أو يتجاهلون بعد ما ذكرناه هنا منزلة الخطابة وهلا ينهض فريق من نبغاء الناشئين ويبحر الى

بلاد الغرب ليتلقف من أساليب خطبهم مثالا يجرى على منواله .

والآن وجب علينا أن نذكر لهم طرفاً من سيرة ديموستين أشهر خطباء اليونان ليروا كيف يجدّ ذو النفس الكبيرة حتى يصير ذا قدر كبير وخطر عظيم ، فقد أحسّ بضعف فى منطقه وقصور فى لفظه قبل أن يشتهر أمره فعمد إلى مكان منفرد لبث به وحيداً بضع سنين مشتغلا بالمطالعة والدرس واصلاح ما كان يحول دون لفظه من الخلل الطبيعى ، وقيل إنه ابتنى غرفة تحت الارض وكان ينزل اليها مهتما بتحسين حركته وصوته ولفظه ، وكان يبقى فى تلك الحجرة أحياناً ثلاثة أشهر أو أربعة متوالية يحلق نصف شعره ليتعذر عليه الخروج اذا حملته النفس الأمارة بالسوء عليه ، وكان يتسلق أحيانا قمة الجبل حيث ينشد القريض بصوت جهورى ، ويذهب أحيانا الى شاطىء البحر فيعالج اصلاح لفظه بجعل الحصى فى فمه ويخاطب الامواج حتى هان عليه بعد ذلك كله أن يدخل قاعات الخطب ويرقى المنابر ، حتى اقتاد زمام الحزب الكريم الذى كان يجتهد لتوطيد استقلال اثينا واليونان معاً .

فهكذا ينبغى أن يفعل المصرىُّ الذى يرى نفسه كفؤاً لأن يؤدى خدمة جليلة لوطنه ويجد أن مقاله أهون شىء ينفع به وطنه . فاذا ما اجتمع لدينا عدد عديد من الخطباء المسمعين الذين يمكنهم ان يخطبوا فى البلاد الأوروبية مبينين حالة مصر وفعال المحتلين بها ، ويتهيأ لهم أن يسوقوا هذا الشعب الجامد بعصا التأثير البالغ الى مواقف النشاط والاقدام والعمل انتظرنا ان يكون لنا مستقبلٌ سعيدٌ .

شمره

كان شمره مثالاً للرصانة فى ديباجته ، مع نزعة إلى الابتداع غير مألوفة فى بيئته ، ولكن روح المحافظة على الذوق العربى غالبة عليه ، وهو إذا قيس بحفنى بك ناصف مثلاً عُدَّ من المجدّدين فى وقته . وإليك نماذج متنوعة من شعره المشهور :

(١) تعزية الخديو عباس بوفاة والده الخديو توفيق

سُرورٌ جلتْ أنوارُهُ ظُلَمَ الحزنِ ... وقوةُ أيدٍ أبرأتْ ألمَ الوهنِ
وأُنسٌ أتى مِنْ بَعْدِ سابقِ وحشةٍ ... وخوفٌ عرَى لكنْ تبدَّلَ بالأمنِ
وطودٌ رسا من بعد آخر قد هوَى ... فانْ فاتنا ركنٌ أوَينَا إلى رُكنِ
وغُصنٌ نشَا من قبلهِ غُصنٌ ذوَى ... فلم ننتقل إلاَّ من الغُصنِ للغُصنِ
جَنينا مِنَ الماضى ثمارَ عدالةٍ ... ونجنى من الآتى ، ويا طيبَ ما نَجْنى !

وكلها على هذا المنوال متانةً وروعةً .

(٢) تهنئة الى الخديو عباس بعيد الأضحى

كبَّرَ السَّعْدُ فى ذُراكَ وهلَّلْ ... ولكَ الدَّهرُ بالأمانى تكفَّلْ
وكسوتَ الزَّمانَ منكَ جمالاً ... فتَحلَّى بحليـــهِ وتَجمَّلْ

ومنها :

فاشدُدِ الملكَ بالعزيمةِ والرأْ ... يِ وحُسْنِ التدبيرِ فى العقدِ والحلْ
وتَرَفَّقْ فى كلِّ أمْرِكَ ، فالرِّفـ ... ـقُ جميلٌ ، وبالمُمَلِّكِ أجْمَلْ
وانشُرِ العلمَ وابسُطِ العدْلَ ، وادْفَعْ ... بالتى ، واحتفظ بما كاد يُهْمَلْ

هـــذه شِيمَةُ الملوكِ قـــديماً وحـديثاً ، وأنتَ أَوْلَى وَأفضلْ !

ومنها :

إنّ مِصراً — وأنت أكرمُ ذُخرٍ لبنيها ، وأنت خيرُ مُؤَمَّـــلْ —
تَرْتَجِي مِنكَ أنْ تردَّ إليها مَجْدَهَا : مَجْدَهَا العظيمَ المؤثَّلْ
ويَسِـــيرٌ على العزيزِ إذا ما عَقَدَ العَزْمَ أن يقولَ وَيَعْمَلْ

وهى من شعر الوطنية الحار فى شبابه .

(٣) — رثاء جواد

كان أبو شادى بك يروِّض نفسه قربَ الجبل غرب أسيوط وإذا بحادمه مقبلٌ عليه ببرقية من صديقٍ له ينعى إليه وفاة حصان له ، فردَّ عليه مباشرة بالبرقية الآتية النصّ :

نهنهْ على موت الحصانْ لعبتْ به أيدى المنونْ
وتصرَّفَتْ نُوَبُ الزَّمانْ بشبابهِ الغَضِّ الهتونْ
قد مات يا كنزَ الحِسَانْ الأشقرُ العالى المَصُونْ
فلكَ البقَا ، فالدَّهرُ خانْ لكنَّ صبرَكَ لا يخونْ !

وهى إحدى لطائفه الكثيرة التى كان يرتجلها بمثل طبع المرحوم اسماعيل صبرى باشا بغير أن يُعنَى بحفظها .

(٤) — غطاء مائدة

ومن لطائف شعره هذا الارتجال الوصفى وقد رأى غطاء مائدة رُسم عليه سبع يقوده غلام — وكان ذلك فى حفلة توديع أحد رجال القضاء فى أسيوط :

مِنْ عَدْلِهِمْ أسروا السِّباعَ وَصَوَّرُوا تمثالَهَا بســـلاسلٍ للرائى
فَلْيمتثلْهُ أولو الجرائمِ مُثْلَةً وَلْيَعْتَبِرْ مُتَوَحِّشُو الغبراء !

(٥) — وصف حديقة

فى مجاليكِ مُتعةٌ للنفوسِ ... وتَظلين فى ثيابِ العروسِ
يتساوَى لديك خلقٌ بأنسٍ ... محتسين السُّرورَ ملءَ الكؤوسِ
مِنْ طيُورٍ وَمِنْ أُناسٍ تَبَارَوْا ... فى افتنانٍ بزهرِكِ المحروسِ
رشفوا خمرَهُ خيالاً ، وذاقوا
نُورَ شمسٍ ، وحُسْنَ تلك الشموسِ !
بُسُطٌ غَضَّةٌ ، وزهرٌ نضيرٌ ... وغصونٌ نمتْ بشكر الجليسِ
وعصافيرُ بين أجواقها الكبـ ... ـرى تغنّى صلاتَها للنفوسِ
جعلتنى جميعها أذكر (اللّـ ... ـهَ) قريراً ، فذاك طِبُّ العبُوسِ !

(٦) — رثاء مصطفى كامل

أُلقيت فى حفلة التأبين الكبرى يوم ذكرى الأربعين لوفاته (٢٠ مارس سنة ١٩٠٨) ، وقد تبارى أيضاً فى هذه الحفلة من الشعراء المشهورين اسماعيل صبرى باشا وحافظ إبراهيم بك وخليل مطران بك :

ألاَ مَنْ لنا عند احتشادِ المحافلِ ... إذا عَيِيَتْ بالخطبِ لُدُّ المقاولِ ؟
لقد أُدرجَ الأقدامُ والرأىُ والحِجَى ... وَقَهْرُ العدى فى طىّ أكفان (كاملِ)
مضى (مصطفى) ، واحسرتا لسبيله ! ... وتلك سبيلٌ لم تُخَصَّ براحلِ
مضى (مصطفى) ، لاضارعاً لخصومه ، ... وليسَ بهيّابٍ ، وليس بواكلِ
هوَتْ شَمْسُهُ مِنْ أُفقِها فتصاعدتْ ... لها زَفَرَاتُ النّادباتِ الثواكلِ
هوَتْ شمسُهُ فى الشرقِ ، والغربُ ناظرٌ
إليها بعينِ الصّاغرِ المتضائلِ
هوَتْ بعدأنْ مدّتْ رواقَ ضيائها ... على نابهٍ مِنْ آلِ (مصر) وخاملِ

فكلُّ فؤادٍ فيهِ كوكبُ (مصطفى) يُرَى مُشرِقاً فى خلقِهِ والشمائلِ
فإنْ عطلتْ منهُ مَنابرُ عصرِهِ فما صدرُ (مصر) من حُلاهُ بعاطلِ
نَرَى شخصَهُ فى كلِّ شىءٍ مُمثَّلاً ونَسمعُهُ فى كلِّ مقولِ قائلِ
شعورٌ، حياةٌ، همةٌ، وطنيةٌ وفاقٌ، ولُوعٌ بالعُلاَ والفضائلِ
دِفاعٌ وسِلمٌ، حِكمةٌ وأصالةٌ وصِدقٌ وحقٌ لا يُشابُ ببَاطلِ
بلادِى وأوطانِى، وشعبى وأُمتى وحُرِّيتى، مَابالنا فى السلاسلِ ؟!
وعُودكمو دَينٌ عليكم، فأنجزُوا وعُودَكمو، فالحُرُّ غيرُ مُماطلِ
دعوا الأمرَ شُورَى، وانبذُوا ما وضعتُم
مِنَ الوزرِ عن أعناقِنا والكواهلِ !
أليس حُليًا كلُّ هذا، ببغضهِ تودّ لو ازدانتْ صدورُ العقائلِ ؟
بنى مصر ! هذا صوتهُ من ضريحهِ يُحذِّركمْ من مُوبقاتِ التخاذُلِ
فجدُّوا على آثاره، وتوسَّلوا إلى الغرَضِ الأقصَى بكلِّ الوسائلِ
ألا فاعملوا، فالميتُ حىٌّ بفعلهِ وأىُّ حياةٍ لامرىءٍ غيرِ عاملِ ؟
ألا فاعملوا، إنَّ الحياةَ قصيرةٌ ولا تغفلوا فاللهُ ليسَ بغافلِ
أميطوا لثامَ الضعفِ عنكم فإنْ يكنْ مضى (كاملٌ) فلتحْىَ شيعةُ (كاملِ)!

(٧) — الاكروپول

قال من قصيدةٍ يصفه عند زيارته لأثينا فى سنة ١٩٠٥ م :

قد صعدنا إليكَ ملتوياتٍ من طريقٍ يكاد لا يتناهَى
فاذا المجدُ فيكَ عالٍ يُحيِّيـ ـنا كريماً، وقد يُناجى الآلهـا !
تُحفُ الفنّ هذه خالداتٌ فى خُلودِ الانسان حِذقاً وجاهَا
وبقَايا التاريخِ أفصحُ مِمَّا مَثَّلَ الأمسُ واستذلَّ الجباهَا

إنّ هذى معابدُ النّاسِ طُرًّا ... لجمالِ الإغريقِ لمّا احتواها
يتساوَى أمامَها كلُّ ذى لبٍّ (م) وكلُّ امرىءٍ يفيض انتباها
هى ركنُ التوحيدِ للفنِّ من بَعْـ ... ـدِ ماضلّ كافراً مَنْ بَناها
فاستحالَ الضلالُ نُوراً وعلماً ... وفخاراً لأمـــةٍ بل غناها
فلتدُمْ عالياً على الجبلِ العا ... رفِ فى عبئهِ معانى علاها !

(٨) — تشطير قصيدة ورد الربيع

وهى القصيدة الوطنية الشهيرة التى نظمها صديقه الأديب الشاعر المتفنن الأستاذ أحمد رفعت المحرر « بالظاهر » و « العلم » وغيرهما من الصحف الوطنية فى ذاك العهد على أثر شنق الوردانى ، وقد ذاعت حينئذ ذيوعاً عظيماً ، وهى منشورة فى مجموعة (أشعار ورد الربيع) المطبوعة سنة ١٩١٠م .

ولّى الربيع مُعـلِّلى ... بســعادة لم تكمـلِ
مَنْ لى وقد فات الصّبَا ... برجوع عهـدى الأولِ
فبكيتُ أيامَ الشّبا ... بُ يرتقـــبن تَعَزُّلى
وسقيت تذكار الصحا ... ب بمـــدمع لم يذللِ
ولئن مضى عهـــدُ الربيـ ... ـع بلهفةِ المتعجّـلِ
ونأى بألبـابِ الجميـ ... ـعِ فزهـره لم يذبلِ
ما لى أرى ملكَ الأزا ... هرِ فى الحضيضِ الأسفلِ ؟
وأرى له فلكَ الزوا ... هرِ كاد يسقط مِنْ عَلِ ؟
يا وَرْدُ يا أُنسَ النّفُو ... سِ ورُقيـــةَ المتدلّلِ
قـد قبّلوكَ لدى الكؤو ... سِ فدتكَ نفسُ مقبّلِ
تشـــتاق طلعتَكَ البهيـ ... ـةَ مقـلةٌ لم تغفـــلِ

وتزورُ روضتكَ السنيـ ـةَ كلَّ صُبحٍ مُقبلِ
يا وردُ أنتَ سَنَا العيُو نِ إذا الدُّجى لم يَنجلِ
مَرآكَ تَسليةُ الحـزيـ ـنِ وفكرةُ المتأمِّلِ
لونٌ يحول خِـلالَهُ خَفَرُ الفتَاةِ لمجتلى
لكنَّما فى طيّـهِ مَغنى الرجاءِ الأكملِ
فكأنّهُ شَفَقُ الصّبا بهِ لاح فى القلب الخلى
أو أنّهُ نور الصَّلا حِ وغُرَّةُ المتهلّلِ
أحييتَ مِنْ مَيْتِ النُّفوُ سِ بنفحةٍ لم تُملَلِ
وأزلتَ أشجانَ العيُو سِ وكنتَ خيرَ مُؤمَّلِ
لكَ نفحةٌ عطريّةٌ عبثتْ بقلبِ الجندلِ
وإذا بدتْ فى موضعٍ أزرتْ بطيب المندلِ
تتسارع الأقوامُ نحـ ـوَ مكانها المتجمِّلِ
وجميعُهم يبغون صَفـ ـوَ عبيرها المسترسلِ
سَارت إلى كلّ البلا دِ كتحفةِ المتفضّلِ
وتغلغلتْ بين العبا دِ ولم تَدَعْ مِنْ محفلِ
يا وردُ، كم لك مِنْ يَدٍ غرّاء عند البلبلِ
ومحامدٍ مأثورةٍ بين الورى لم تُجْهَلِ
حرَّكتَ شَوقى للقريـ ـضِ فعاد بَعْدَ تحوُّلِ
وحلَلْتَ فى القلبِ المريـ ـضِ وكان عنكَ بمعزلِ
وسَرى بنفحتك النَّسيـ ـمُ إلى المُحبِّ المعولِ
وأذَاعَ شُهرتكَ السَّديـ ـمُ إلى السماكِ الأعزلِ
ياوردُ، إنْ أبعدتَ عن روضٍ فأنتَ بأمثَلِ

إنْ لم يَكنْ مَرآكَ فى نظرى فأنتَ بمنزلى
وإذَا خلوتُ مُفكِّراً ما فى سِواكَ تأملى
وإذا عَرَتنى وحشةٌ كنتَ الأنيسَ الفردَ لى
لو كنتُ ممن يشربو نَ على القذَى لم أحفلِ
أو كنتُ ممن يحتسو ن الرَّاحَ كنتَ معلّلى
أَسَفِى على هذا الرَّبيـ ـعِ وليته لم يَعْجلِ
أَسَفِى على الرَّوضِ البديـ ـعِ ووردِه المترحِّلِ
أحيا النفوسَ بعرفهِ ونأى كأن لم يَفعلِ
كالطَّيْفِ جادَ بزورةٍ ومَضى ولم يَتمهَّلِ
فعسى نَرَى نَفحاتهِ ما بيننا فيما يَلى
أيّامَ يُشرق نَوْرُهُ فى روضةِ المستقبلِ !

وهذا التشطير والقصيدة من أبدع الشعر السياسى الرمزى ، وإذا ضربنا صفحاً عن ذلك فلن يفوتنا أن نلاحظ ماتضمنه هذا الشعر من ضروب الجمال الوصفى الوجدانى لورد الربيع فى وجوده وفنائه .

(٩) — ليل الصب

سمروا فى الروض يجلون العقارَا ويغنّون على تيهِ العَذارى
نثروا النورَ على البُسْطِ وقد نثر البدرَ من النور نضارَا
وجَرَى الماءُ على جانبهم يترك الوردَ فيلقى الجلّنارَا
وسرى من بينهم عطر الصَّبا راوياً عنهم هواهم حيث سارَا
ودُّهم أثمر فى من خالطوا فجَنَوْا من لذةِ الوصلِ ثمارَا
ليلهم فى صحوِهمْ ، فى سكرهمْ غيرُ ليلى مُسْهِدًا فى الصدر نارَا !

أشرب الوجدَ على سرّ الجفا وأناجى هاجراً خان الذمارَا
ثم يثنينى عن الهمّ رجا موعدٍ همّى به يأبى القرارَا
أسأل الغربَ عن الفجر ، وقد طال ليلى وحسبتُ الشرق دارَا
فاذا الأفلاك فى محورهـــا وإذا الصبُّ الذى ضلّ وحارَا !

(١٠) — تحية البخيل

عليلٌ دمعُه دمهُ فمـا لك لاتـكلمهُ ؟!
سرى فيه الضنى حتى بدتْ للعين أعظمهُ
فلا إن ناح تعـذرهُ ولا إن باح ترحمهُ
ولا والله مالى فى الـ ـهوى ذنبٌ فأعلمهُ
فويلٌ مِن غريب الد لّ أبلانى تَحَكمهُ
تَرَدَّدَ فى تحيتـهِ ولم يَسْمَحْ بها فمـهُ !

خطابته

مثال من خطبة سياسية ارتجالية له بدمنهور فى سنة ١٩٢٣ م .

(مقتطفة من جريدة « المحروسة » المؤرخة ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ م .)

ويلاحظ القارىء نبوّ خطابته عن المهارة السياسية ، وترفعه عن كيل الاتهام لخصومه السياسيين ، فكل اعتماده فى التأثير على فصاحة بيانه المتدفق المرتجل ، وعلى قوة منطقه الصافى السليم الذى يكيفه بفطنته حسب المناسبات ، فيلعب بألباب الجماهير خاصتهم ودهماءهم على السواء .

هل يستوى الاعمى والبصير ؟ « — أصوات : كلا » — ام هل تستوى الظلمات والنور ؟ — «أصوات : كلا» — ان كان الامر كذلك فالنابه لا يحتاج الى من يزكيه ، لان المرء لا يحتاج فى الظهيرة صيفاً على أن يدلل على شروق الشمس . . . .

ان البرلمان سيعقد ، وستنازع أمة عزلاء أمة مسلحة ، صاحب القوة يريد الاغتصاب وصاحب الحق يريد حقه ، فاعدوا أيها السادة لكل شىء ماينا سبه ، فان أردنا أن نصيد سمكا وجب أن نجهز الشبكة ، وإذا اردنا قتالا اخترنا الرجل ذا البسطة فى القوة والجسم ، وإذا أردنا عضواً للبرلمان وجب أن نختاره ذا بسطة فى الرأى والتفكير.

ماذا يغنينى من قوة زيد ، وسعة ثروته ، وكثرة أطيانه وأمواله ، ان هو دخل البرلمان فجلس صامتاً ؟ ! وان هو استنطق تثاءب واغمض عينيه ؟ ! . .

« أصوات استحسان » .

سرنا فى طريقنا نطلب الاستقلال التام ، وسرتم أنتم فى الطليعة ، لاننا ما تحركنا الا بقوة ارادتكم ، ومتى أراد الله شيئا هيأ أسبابه .

سرنا نطلب الاستقلال التام ، فوقف فى طريقنا فريقان من الناس ، فريق يقول أهله ان الاستقلال بعيد ، لاننا لا نملك سلاحاً ، لقد كان عرابى يملك سلاحاً فهل أخذ الاستقلال ؟ . . . ان عندنا شيئاً واحداً هو التضامن ، هو

الثبات على المطالبة بحقوقنا كاملة ، والمستميت لايموت أبداً ...

اذا أردنا حقنا كاملا ، وجب ان يكون ثباتنا كاملا ، وتضامننا كاملا ، واتحادنا كاملا .

قام محمد صلى الله عليه وسلم وقريش على أعظم ما تكون من الشقاق ، قام ولا نصير له الا الله ، فصدقه أبو بكر ، وآمن به على ، وكانا أول من اعتنق الاسلام ديناً .

لم تثنه قوة قريش وعداؤها له ، لم تثنه قوة العالم بأسره ، وفى الحديث الشريف : « بدأ الاسلام غريباً » .

سار فى طريقه ، ما التوى وما رجع .

جاءه عمر وقد كان صاحب السطوة ، تسلق الجدار ليقتله لا ليؤمن به ، فلما وُجد بحضرته (وكان عاشر عشرة أسلموا) وسمع شيئاً من القرآن ، انبعث نوره الى قلبه فأسلم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما وقد أسلم عمر فأجهر بالاذان يا بلال !

قوة اليقين ، قوة التضامن ، قوة التمسك بالحق ، هى التى سلكت بالنبى صلى الله عليه وسلم طريق الفوز والنصر ، حتى انه كان ينتصر برعب أعدائه قبل أن يفوز فى الموقعة .

رأيت الاستاذ حافظ بك رمضان يقول ، فتح خالد بن الوليد بنفر قليل الامصار والممالك وما مكنه من ذلك الا أنه كان يسير مدفوعاً بقوة اليقين ، وسأناقش هذا القول بعد قليل .

فتح طارق بن زياد ما فتح من المناطق ، وفيها منطقه جبل طارق — التى تشرفت بأن كانت منفى الزعيم الجليل — بجيش صغير لم يبلغ الالف عدّاً ، جاء بهذا الجيش من بر اسبانيا ، ثم أحرق السفن على غير علم من رجاله ، ثم خطبهم خطبته المشهورة ، فأثار فيهم نار الحمية والاستماتة ، وانتهى الامر بأن فتح المملكة وسمى الجبل باسمه !

وتمكن آل عثمان من أن يدوخوا الروملى بستمائة جندى !

ومتى اعتقد الانسان وجوب التمسك بحقه ، فانه بالغ غايته ، على شريطة ان لاينحرف عن جادة الحق ، وان لا يبغى على اخيه : لو بغى جبل لدك الباغى !

اذن يجب ان نسير فى طريقنا متمسكين بحقوقنا ، ولكن فى نجوة من الانحراف ، فى نجوة من الانشقاق ، والا فقد يلتوى علينا الامر ، «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وعلى قدر انشقاقنا تكون نسبة الضعف فينا ، والخيانة ـ أعيذكم منها ـ تلتهم الامم كما تلتهم النار الحطب !

اننا امام فرق ، بينهم من تساط عليه العمى والضعف ، وبينهم من دب فى صدره دبيب حب الذات ، وبينهم من تسرب الحسد الى نفسه ، وقديماً كاد للناس الحسد .

فالفريق الاول يقول معترضاً ان انجلترا دولة ذات أساطيل . . وانها تستطيع ان تجند ثلاثة ملايين أو اكثر من مستعمراتها ، وانها دولة قوية ، واننا ضعفاء ، وان من الانجليز مفتش الرى الذى فى يده تصريف المياه ، وانه ما دام الامر كذلك فلماذا لانسير معهم وعلام كل هذا التعب والعناء ؟ !

ان هذا الفريق أيها السادة ظن ان الامم خلقت اجساماً لا أرواح فيها ولا عقول ! ان للروح الاطلاق ، وللعقل التفكير ، وللجسم الانقياد للاثنين .

لو فكر هذا الفريق لعلم ان حركة الكون لا تدخل تحت سيطرة عقله ، بل تحت تصريف الله .

لو فكر هذا الفريق لعلم ان كل تلك الاساطيل والجيوش والمستعمرات ، من تصاريف الله ، فما أدراك ألا يبدل الله حالنا غير الحال ؟

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال !

أيها السادة :

مرّ بنا زمن كنا نرى فيه ان اكبر مملكة تأخذها هزة الفرَق اذا ذكر أمامها عاهل الالمان أو قيصر الروس ، فأين عاهل الالمان الآن ؟ انه شبه سجين ! وأين قيصر الروس ؟ انه مات ميتة أعيذكم بالله منها ، وقد دالت دولته ، كما أن المملكة الالمانية فى حال لا تغبَطُ عليها . . .

رب شخص تقوده الاقدار للمعالى ، وما لذاك اختيار
غافل والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار !

لقد رزق الله انجلترا معدة استعمارية ، لايصل اليها شىء من الممالك حتى تهضمه فى أسرع من لمح البصر !

عند ما كانت المدافع تطلق ابتهاجا بذلك الاستقلال الزائف !

اقرأوا التلغرافات التى وردت اليوم ، تجدوا أن الانجليز يريدون أن يحتلوا قلب العاصمة ، لأنهم لا يأمنون على وصول المياه الى المناطق التى احتلوها على شاطىء القنال الا بهذا الاحتلال !

فأين الاستقلال الذى جاءنا اذن ؟ اننا اذا قلنا ان هناك استقلالا ، فان هذا القول يكون على طريقة (ارقد) !

أسحوا رجلا فى نعشه ،وسار حملة القماقم والفقهاء امامه ، واخذوا يبكونه ، ولكن الرجل كان يصيح بانه حى ، لم يمت ، وطلب من العسكرى انقاذه ، فاجابه: (ارقد ! هو أنا حصدقك وأكذب كل دول) !

ان تولى انجلترا حماية المواصلات، على مانصّ تصريح ٢٨ فبراير، كاف لان يمكنها من التدخل فى كل أمر من امور البلد ، فاذا أردنا انشاء قلعة اعترضت لانها تضر بالمواصلات ، وهكذا قل عن كل عمل نريده !

وهنا فكروا معى قليلا ، واحكموا : هل من الانصاف ، وهل من الوطنية ، ان نؤيد واحداً من الآخذين بتصريح ٢٨ فبراير المروّجين له ، وندخله البرلمان حتى يتم علينا جنايته (أصوات: كلا! كلا!) اذن «غطوا عليهم ببرش عجوه وننتهى! »

لست أدرى بماذا اسمى هذا الفريق ، أأقول ان خور العزيمة ، وضعف القلب والايمان هو الذى أوقفهم هذا الموقف الردىء أو ان المال يجر المال ، وطمع الذات اذا ملك قلباً أفسده فظنوا انهم بتأييد الغاصب يصبحون طبقة فوق الامة لا تعلوهم طبقة غير الاحتلال ، فيسيطرون علينا ، وينالون بالاحتلال ما لم ينالوه من الامة؟!

وهناك فريق آخر لاأنسب إليه الخيانة ، لان اليوم الذى انسب فيه الخيانة الى أمين ، أغش فيه الناس ، وأكون مجرماً ، ولكنى أقول إن هذا الفريق ألقى الله على عينيه غشاوة ، فهو يرى كل شىء قاتماً ، يرى الدنيا سوداء والشمس طالعة توقد فى الضحى ! انه يرى كل شىء سواداً ومن أجل ذلك يحكم على كل شىء بمرئياته .

هذا الفريق اخذ يطعن على سعد ، ورجال سعد ، وليس لهؤلاء من ذنب الا انهم يطالبون بالاستقلال التام .

عينوا لنا ذنباً أو خطيئة ، وتعالوا ياعباد الله نتفاهم ، نحن من الامانة بما تعترفون أنتم به . . . أنتم لاتريدون المفاوضة ، لانكم تقولون انها ضارة ولست أدرى أى

سطت على ما وراء البحار، فلما رأت انها امتلكت ما امتلكت من هند اخذتها بجزء من ملح الطعام ، ومستعمرات كثيرة بسطت عليها سلطانها بالحيلة والخداع، اصبحت تريد طريقاً آمناً الى كل هذه الممتلكات ، يبتدىء من لندن ، ويمر بالمانش ، وأخشى أن نصبح وفرنسا فى مستوى واحد ، فنقول « لتحى فرنسا » ويقول الفرنسيون « لتحى مصر » لان كلا منا سيطالب باستقلا له !

لم يكف انجلترا ذلك ، بل اخذت تسطو على الممالك مملكة أثر مملكة : صادقت الدولة العلية وصافتها ، ولكن مصادقة العدو للعدو ، أو صاحب الشاة يطعمها ليأ كلها ، فأخذت من الدولة العلية شيئاً كثيراً حتى اصبحت كمصر أو تزيد عليها قليلا.

فعلت كل ذلك ، لتؤمن الطريق الى مستعمراتها !

وقد هبطت مصر ، وأنتم تعرفون تاريخ احتلالها : دخلت وادى النيل ، بدعوى اطفاء فتنة ، ولكن هذه الفتنة فى عرفها لم تنطفى بعد ، فلا هى منطفئة اليوم ، ولا غداً ، ولا بعد غد ، وربما استمرت الى يوم القيامة !

صرحت ثلاثاً وستين مرة بأنها خارجة من مصر ولكنها لم تخرج ، وهى الآن تريد أن تبرر بقاءها بطريقة يقال معها إنها ما ظلمت ، وإنها موجودة برضانا، إذ هى ترى بعين المستقبل ان العمال فى حذر ، لان هؤء العمال يتقوون شيئاً فشيئاً لا عمال انجلترا وحدها بل عمال العالم أجمع ، فهى تخشى أن يرفع عمال العالم غداً نقضاً وابراماً باسم الممالك التى ابتلعتها !

ضربت علينا الحماية ظالمة فقلنا لا نقبلها ولا نرتضيها ! قالت : بل قبلتموها لان رشدى باشا قبلها !

قالوا المفاوضه ، فلم تسفر عن نتيجة يحسن السكوت عليها ... لوحوا لنا بمشروع كرزن ، قلنا لا نقبله ! ثم جاءونا بتصريح ٢٨ فبراير فقال المستر تشرشل بعده : ان مصر لم تنل استقلالها ، ولكن يقال لنا : أخطأ تشرشل وقد نالت مصر استقلالها الذى لا شك فيه . . . . !

أعلن تصريح ٢٨ فبراير ، ورقص له العدليون وغنوا، وقالوا جاءنا الاستقلال بلا ثمن وبلا تعب ، وأصبحنا مملكة مستقلة ذات سيادة ، ولكن سعد باشا قال: « كل ذلك باطل غير صحيح » ، وأنا على الرغم من ضعفى قلت أيضاً إن هذا الاستقلال غير صحيح . وكان حافظ بك عوض ، يسود صفحات جريدته ، حداداً

ضرر نجم عنها ، ونحن نحن على ما كنا عليه ؟ !

قبل المفاوضة كانت الحماية ، وبعد المفاوضة جاء الاستقلال الكاذب !

لماذا لا تكون هناك مفاوضة ؟ قالوا : بلى ! تكون مفاوضة ولكن بعد الجلاء : بعد الجلاء عن مصر والسودان والملحقات ، وبعد أن يأخذ آخر عسكرى انجليزى حقيبته ويسير ، ولست أدرى فيم نفاوض بعد هذا ، ولست أدرى ما الذى نعمله مع الانجليز بعد الجلاء ؟ !

ان هؤلاء لايريدون من انجلترا ان تجلو عن مصر والسودان فقط ، بل هم يريدونها على ان تحارب ايطاليا ، لتخرجها من مصوع ، وأن تجلى جنودها وجنود الدول الاخرى عن الملحقات اكراماً لحافظ رمضان ، وشغفاً بمفاوضته . . . . !

هذا كلام له خبىء معناه ليست لناعقول

أيها المطالبون بالجلاء قبل المفاوضة ، قولوا لنا : ماذا اعددتم لاجلاء هؤلاء الانجليز ، حتى نتفاوض بعد ذلك ؟ . . ان الانسان يحس انه انسان بالفكر والعقل ، ولكنه لايمكن ان يحس بانه حيوان غير ناطق الا اذا كان مجنوناً !

ان الانسان اذا كان له خصم ، استخدم قوته لاكراهه على الاذعان لحقه ، ولكن اذا كان سلاح هذا الانسان مقصوراً على الوقوف بلا حركة فهو لم يعد شيئاً للفوز والغلبة . . .

يسوءنى هذا الموقف من الحزب الوطنى . نحن أمة تسلط عليها خصم قوى أراها المصائب أشكالا وألواناً ، ثم لايريد هذا الحزب أن نتفاوض لاستخلاص حقوقنا ، أو أن نتحرك أو أن نتكلم ، ثم يقف رجاله قائلين : انتخبونا للبرلمان على أن لا نفاوض ، وعلى أن لانعمل !

أشهد الله أيها الناس ، لو رأيت هذا الرأى صواباً ، لتركت سعداً ، وجنحت إلى الحزب الوطنى !

ولكننى أريد أن أفهم ماهى الوسيلة التى يصلون بها لتحقيق الجلاء بغير مفاوضة ؟ اذا استطعتم ذلك فأنا معكم ، أما وأنتم غير مستطيعين ، فعيب علينا أن ننشق ، عيب عليكم ان تتناسوا الانجليز ، خصمنا المشترك ، ثم تقفوا كلكم على الطعن على السعديين .

يقول حافظ بك رمضان : نعم ليس عندنا سلاح ، وليست عندنا ذخيرة ،

ولـكننا نخرج الانجليز بقوة الايمان والعقيدة ! ايه ياقوم ، حكموا العقل ، وحكموا المنطق ، نعم ان الله يفعل العجائب ، ولـكن هل رأيتم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهو نبيه ورسوله ، وخاتم الانبياء وقف عند حد الايمان والعقيدة ، أم انه حارب بنفسه وجرح فى احدى المواقع ؟

وهنا وقف أحدهم معترضا وقال : ألم يفتح خالد بن الوليد الامصار بجيش قليل لانه كان قوى الايمان والعقيدة ؟

ثم حاول أن يشوش على نظام الاحتفال فأخرجه البوليس . واستأنف الاستاذ كلامه فقال :

اذا الناس غطوني تغطيتُ عنهمو وإن بحثوا عني ففيهم مباحثُ !

ولو رأيت من السائل اعتدالا ، لورأيت منه رغبة فى التفاهم ، لـكنت له اطوع من بنانه . أما وهو لايريد الا شغباً شأن أصحابه ، فاسمحوا لى أن أرد عليه غيابياً :

هل فتح طارق الممالك بالسبحة والرقعة ، أم أنه حارب برجاله الاشداء ؟ وهل فتح خالد بن الوليد ، تلك الممالك التى افتحها ، بان ذهب ورجاله يأكل الثريد ، أم ان كل واحد منهم كان يطوى الايام جوعاً ثم يأكل من عظام اعدائه ؟ !

ثم أورد الاستاذ طائفة من الآيات الـكريمة تأييداً لما يقول ، نذكر منها قوله تعالى « عدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » « وماخلقت الجن والانس الا ليعبدونى ، ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون » « وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

قولوا لنا : هل كانت قوة العقيدة وحدها سبب مجد الاسلام ؟ هل فتحت مملـكة بدعوة صالحة ؟ ان الله يؤيد الانسان ما دام على الحق سواء أكان مسلماً أم غير مسلم فالعمل ، اعملوا على حق والله يؤيدكم بروح من عنده .

تعالوا يارجال الحزب الوطنى الى كلمة سواء ، لقد شكلتم حزبكم من ثلاثين سنة ، فماذا صنعتم فى كل هذه السنين الطوال ؟ أما وُجد بينكم واحد فقط أوتى قوة فى الايمان والعقيدة يخرج بها الانجليز من مصر . . . . ؟ !

شرح لنا رئيسُ الحـزب أعمال حزبه فى مدى ثـلاثين حولا ، فحصرها فى الاحتجاج ... فاذا كان الامر كذلك ، فلنحتج بالجملة والقطاعى وفى كل اوكازيون ... ثلاثون حولا قضوها فى الاحتجاج ، فهل هذ هو كل عملهم ... ؟ !

ان قوة الايمان لم تنفع فى مدى ثلاثين عاماً فلماذا لا يريدون ان نفاوض؟ أنقعد بلا حركة ثم يظل الانجليز قاعدين على كراسيهم وفى ثكناتهم الى ماشاء الله ؟! . وكما مضت ثلاثون سنة ستمضى ثلاثون سنة أخرى ، وهكذا دواليك وتظل انجلترا قابضة على زمام القطر !

بقيت لى كلمة عن البرلمان: ان البرلمان الذى نحن مقبلون عليه خطر جداً ، وليس هو نزهة ، وليس هو نعيماً .

لو شكل البرلمان فى غير هذه الظروف — لو شكل ولم يكن هناك احتلال ، ولا قوانين استثنائيه ، لصح لنا أن نقول أنه نزهة بديعة !

ولكن الى أين نحن ذاهبون ؟! ذاهبون الى بحث قوانين استثنائية ، ومسئلة سياسية معقدة ، وانا يسرنى أن أرى فى هذا الموقف رجلا مثل حافظ بك اكثر مما أرى نفسى !

أنا أعجب لماذا يتهافت الناس على البرلمان ؟! لو صح لى أن استشهد بنفسى لتكلمت ، ولكنى استشهد بحافظ بك عوض وزملائه : لقد امتنعت مراراً عن ترشيح نفسى ، وسألت اعضاء الوفد واحداً واحداً أن يرشحوا غيرى ، لا ضناً منى بخدمة وطنى ، ولكننى أخاف أن اخطىء فأجر على الامة سوءاً هى فى غنى عنه .

رشحنى أهلى ومواطنى فى مسقط رأسى فأبى الوفد ، ورشح ابنى بدلا منى فى بلدتى ، وهو طبيب وأديب معروف من الناس جميعاً ، فأبيت عليه ذلك ، وسألنى الناس مراراً سبب هذا الاباء ، فوقفت عن الجواب ، الى أن طلبنى الوفد ، وأراد أن أعلن رضاى عن ترشيح ابنى ، فقلت : اننى اخاف ان اخطىء وأخاف ان يتبعنى ابنى ...

أنا خائف على بلدى لا على نفسى ، ولست ممتنعاً عن ان أعمل بكل قواى ، ومع كبر سنى فأنا اكثر شبيبة فى العمل ، من شاب قوى العضلات !

اسمحوا لى ان أتعجب من تهافت كل فرد على عضوية البرلمان ، تهافتاً كدنا نقول منه إن الاربعة عشر مليوناً سيكونون نائباً ونائبة ! هذا معيب... فاذا كان فى عضوية البرلمان فخار لك ، ثم تعلم ان هناك من هو أكفأ منك ، فضحّ هذا الفخار من أجل الوطن .

لتشك فى نفسك . . ذلك أحوط لذمتك وضميرك أمام الله والناس .

اذا عينتُ مهندساً ، مفتشَ صحةٍ لبلد ، فأنا أسىء اليه والى سكان هذا البلد .

كان المرحوم حسن بك خورشد مدرساً للبكتريولوجيا ، فأراد الانجليز ان يجعلوه مدرس تشريح فأبى ، وقال إننى غير كفء لما تنوبونني له ، ثم استقال مرتفع الرأس حارماً نفسه المكافأة والمعاش.

أنا فى موقفى هنا ، أشد الناس اندهاشاً من أن أحداً يدّعى الكفاءة ، فى زراعة الأطيان أو فى التجارة ، أو فى غيرها ، يزاحم فرداً اخصائياً فى السياسة ، فى الفن الذى يحتاج اليه البرلمان ، أليس هذا ظلماً ، ومعابة ؟ !

اذا نجح هذا الرجل فليس هو الظالم وانما أنتم الظالمون ، إذ تقدمون للامة ثمناً عظيماً لنجاحه هو الخيانة !

سيجىء يوم نبحث فيه قانون التضمينات ، الذى جعلته انجلترا غير قابل للبحث ، وسنبحث فى قوة مَن تعاقد به مع انجلترا ، وسنبحث نصوص القانون الدولى ، وأحكام القانون المدنى فيما يخص بالاكراه ، فاذا جئنا برجل كل كفاءته أن عنده أطياناً ، أو تجارة أو مالا ، وسألناه رأيه فى قانون التضمينات ، أجاب : « أنا ما ضمنتوش » . . . . !

نقول : إن المسألة ليست مسألة كمبيالة حتى تقول انك لم تضمن ، فيقول : « أمال ايه هى التضمينات دى ؟ » نقول له : « إنها معاهدة عقدها يحيي باشا » فلا يجيب الا بقوله : « مادام يحيي باشا عمله ، فغصب من ننى عينا ملزومين نقبله » !

ولكنه إذا وُجد الى جانبى فى البرلمان رجل واسع الاطلاع ، خبير بسياسة الدول ، متفقه فى قضية مصر ، استطعتُ أن أكوّن لى رأياً ينفع أبناءنا وذرارينا فى المستقبل ، وليس اذا وجد الى جانبي رجل إذا سألته رأيه فى قانون التضمينات أجاب : « نضربه علقة » !

أيها السادة :

خطرت على بالى الآن واقعتان تنيران أمامكم السبيل وترشدانكم الى ما يجب أن تعملوا : كان المرحوم احمد بك خلف الله عضواً فى مجلس شورى القوانين ، وله ابن من المرشحين الآن لأنه على جانب غير قليل من العلم والمعرفة . وكان المرحوم متهماً أمام محكمة الجنح بقنا بأنه ضرب محضراً ، فلما عرض علىّ قضيته

وسألته لماذا ضرب المحضر؟قال : أنا لم أرد ضربه ، فقد قيل لى (أن أعمل له إشكال عندما يحضر للتنفيذ ولما حضر أديته قتله وبس!) وكان حديث الرجل محور دفاعى فلم يحكم عليه إلا بغرامة قدرها مائتا قرش فقط .

وقبل وفاة المرحوم محمد باشا الشواربى وكيل مجلس شورى القوانين حكم على كاتبه استئنافياً بالحبس ستة شهور ، فطلب منى الباشا أن أرفع عن الحكم نقضاً، ثم سألنى اذا كان موعد النقض لم ينته بعد . فأجبته (وهو وكيل مجلس الشورى) : إن موعد النقض باق على ما هو عليه فى القانون الذى درستموه قبل صدوره !

إنكم عند ما تعينون غير كفء لكرسى البرلمان تعيدون هذه المآسى الوطنية ! انكم على قدر نجاحكم فى اختيار النائب عنكم يكون الحكم على ضمائركم ، فان أحسنتم الاختيار قدمتم مثالا حياً على يقظة الأمة ، وعلى تقديرها الكفاية ، وان من ينتخب عنكم لن ينوب عن دمنهور فقط ، وانما سينوب عن الوطن بأسره . ولو أن المهمة التى ستلقى على عاتق البرلمان هى بحث فى الزراعة ، أو فى مراتب القطن ، لانسحبنا وانسحب معنا حافظ عوض ، ولكن مهمة البرلمان أيها السادة معالجة مسألة سياسية خطيرة ، وبحث قوانين استثنائية ، فهل ترضون أن يموت البلد بسوء إختياركم للنواب !

اعملوا على خير بلادكم والله معكم « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » :

ان يوم الحساب والمرء فيه حاسرُ الرأس لا يلمُّ بحيله
والخطايا غدت اليه شخوصاً ناظرات بعين تلك الرذيله
هو يوم يود أن يفتديه بالدنا والهوى وكل وسيله
وهو لو شاء قبله لاتقاه باجتناب الأذى وصنع الفضيله

أسأل الله يا سادتى أن يبعد عنكم الزلات ، وأن يلهمكم الصواب ، وأن يؤيد مرشحكم النابغة احمد بك حافظ عوض ، وأن يوفقكم لخدمة أمتكم ، فلا تجاملوا فى حقوقها ، ومَن كان منكم له حق شخصى ، فليجامل فيه كما يشاء ، أما اذا كان الحق حق الامة ، فلا مجاملة ، ولا مهاودة ، ولا مراعاة خواطر !

فهرست

		صفحة
تصدير	بقلم الناشرين	٣ — ٤
سيرة المترجم له	بقلم الاستاذ رمزى تادرس	٧ — ١٨
ولادته ونشأته ونسبه		٨
تعليمه		٩
أبو شادى بك المحامى		١١
آثاره		١١
أبوشادى بك الصحفى		١١
أبو شادى بك السياسى		١٢
أبو شادى بك الخطيب الأديب		١٥
أخلاقه وصفاته		١٦
حفلة الاربعين		٢٣ — ٢٩
وصف عام للحفلة		٢٣
قصيدة الاستاذ أحمد محرم		٢٥
قصيدة الدكتور أبى شادى		٢٨

obeikandl.com

صفحة

حفلة تأبينه الكبرى ٣٣ — ٧٧

برنامج الحفلة ٣٣
وصف عام للحفلة وأقوال الصحف ٣٤ — ٤٠
قصيدة الدكتور أبى شادى ٣٨
خطبة النحاس باشا ـ صفات الفقيد ٤١
تاريخ حياة الفقيد ـ للاستاذ راغب اسكندر ٤٥
الفقيد كصحفى ٤٦
« كسياسى ٤٦
« كشاعر ٤٨
« كنائب ٤٨
أبو شادى كمحام ـ للاستاذ كامل صدقى ٤٩
مواهبه وبراعته ٤٩
علاقته بالقضاء ٥١
خدمته لمهنته ٥١
كرمه الحاتمى ٥٢
أبو شادى السياسى النائب ـ للاستاذ أحمد فهمى أبى الخير ٥٤
عبقرية أبى شادى بك ـ للاستاذ محمد لطفى جمعه ٥٨
نواحيها المتعددة ٥٨
وطنيته الرائعة ومواقفها ٥٨
حركته الدائمة ٥٩
شجاعته وصراحته ٥٩
فصاحته الخلابة ٥٩
روحه الفتية ٦٠

obeikandl.com

صفحة

شخصيته وآثاره ٦٠
اعتداده بمصريته وعربيته ٦١
اقتداره الصحفى ٦١
إخلاصه للشعب ٦٢
عصاميته ٦٢
فنه فى المحاماة ٦٣
ذاكرته النادرة ٦٥
خسارة الأمة بفقده ٦٥
أبو شادى بك الصحفى — للاستاذ احمد حافظ عوض ٦٦
ذكاؤه الخارق ٦٦
تضحياته الصحفية ٦٧
قوة إملائه ٦٧
سياسته الصحفية ٦٧
فضله على الأدباء ٦٧
تعليق للدكتور أبو شادى ٦٨
مرثية الاستاذ خليل بك مطران ٧١
مرثية الاستاذ أحمد نسيم ٧٤
مرثية الاستاذ محمود رمزى نظيم ٧٦

نماذج من تقريره العام ٧٩ — ١١٤

من أقوال العظماء ٧٩
رثاء جريدة المقطم ٨٠
رثاء جريدة السياسة ٨١
رثاء جريدة النظام ٨١

obeikandl.com

صفحة

رثاء جريدة الاهرام ٨٤
رثاء جريدة البلاغ ٨٦
رثاء جريدة كوكب الشرق ٨٧
كلمة حق عن فقيد عظيم — بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة ٨٩
كلمة الجمعية المصرية فى برلين ٩١
ذكرى أبى شادى بك فى بورسعيد — وصف عام ٩٢
أستاذنا أبو شادى — بقلم الأستاذ حسن يس ٩٣
نوادر أبى شادى بك ـ عن مجلة العالم ٩٦
مرثية حافظ بك ابراهيم ٩٨
رسالة الأستاذين كرد على والمغربى ١٠٠
« صادق حنين باشا ١٠١
مرثية الأستاذ الكاظمى ١٠٢
« « محمد فضل اسماعيل ١٠٥
« « عبد القادر عاشور ١٠٧
« « جورج قلادة ١٠٩
تأبين أبى شادى بك فى بورسعيد ١١١
مرثية الأستاذ حامد الألفى ١١١
« « عبدالله بكرى ١١١
« « على محمد الألفى ١١٣

نماذج من أدبه ١١٧ ـ ١٣٩

نثره ١١٧

مثال لمقالاته ـ عن جريدة الظاهر ١١٧

obeikandl.com

صفحة

شـعره ١٢٢

تعزية الخديو عباس بوفاة والده ١٢٢

تهنئة إلى الخديو عباس بعيد الأضحى ١٢٢

رثاء جواد ١٢٣

وصف غطاء مائدة ١٢٣

وصف حديقة ١٢٤

رثاء مصطفى كامل ١٢٤

وصف الاكروپول ١٢٥

تشطير قصيدة ورد الربيع ١٢٦

ليل الصب ١٢٨

تحية البخيل ١٢٩

خطابته ١٣٠

مثال من خطبة سياسية له بدمنهور ١٣٠

obeikandl.com